۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ
وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ
مُسۡلِمُونَ ٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ
بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧
وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ
إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ
وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩
وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ
وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١
قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦

توجيهات في طريقة جدال أهل الكتاب 46-55

(وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)

ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب:-

1-إذا كانت من غير بصيرة من المجادل،

2-أو بغير قاعدة مرضية،

وأن لا يجادلوا إلا بـــــ:-

(((التي هي أحسن))) بـــــ:-

1-حسن خلق ولطف ولين كلام،

2-ودعوة إلى الحق وتحسينه،

3-و رد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك،

4-و أن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو،

5-بل يكون القصد بيان الحقوهداية الخلق،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النَّحْل: 125]

وَ قَالَ تَعَالَى لِمُوسَى وَ هَارُونَ حِينَ بَعَثَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ:

{فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طَهَ: 44] .

(إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ)

إلا من ظلم من أهل الكتاب، بـــــأن :-

ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق،

و إنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة،

فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع.

***قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الْحَدِيدِ: 25] .

(وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ)

أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على:-

الإيمان بما أنزل إليكم و أنزل إليهم،

و على الإيمان برسولكم و رسولهم،

و على أن الإله واحد،

و لا تكـــــن مناظرتكم إياهم:-

على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل

كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم:-

يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم،

وخروج عن الواجب وآداب النظر،

فـــــإن الواجـــــب:-

1-أن يرد ما مع الخصم من الباطل،

2-و يقبل ما معه من الحق،

3-و لا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرا.

و أيضا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه:-

إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، و بالرسول الذي جاء به،

فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب،

و تقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما،

وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد ﷺقد بينتها

ودلت عليها وأخبرت بها،

فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم،

وهذا من خصائص الإسلام.

فأما أن يقال:-

نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني

وهو الحق الذي صدق ما قبله،

فهذا ظلم وجور، وهو يرجع إلى قوله بالتكذيب،

لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها،

المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن.

❍وأيضا، فإن كل طريق تثبت به نبوة أي نبي كان،

فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد ﷺ،

وكل شبهة يقدح بها في نبوة محمد ﷺ، فإن مثلها أو أعظم منها،

يمكن توجيهها إلى نبوة غيره،

فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه ﷺأظهر وأظهر.

***صحيح البخاري

4485 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ:

كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ،

وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَ لا تُكَذِّبُوهُمْ،

وَقُولُوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} [البقرة: 136] الآيَةَ( )

***صحيح البخاري

(العبرانية) لغة اليهود. (لأهل الإسلام) للمسلمين. (لا تصدقوا. .) أي لا تعتمدوا أقوالهم وتفسيراتهم سواء وافقت الواقع أم خالفته واعتمدوا ما جاءكم على لسان نبيكم ﷺ مع تصديقكم بما أنزل على الرسل عليهم الصلاة والسلام. (الآية) أي وقرأ الآية بتمامها وتتمتها {وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .} / البقرة 136 /.

لا نفرق بين أحد منهم) من حيث الإيمان بنبوتهم والتصديق بما أنزل عليهم بل نؤمن بالجميع. (له) لله عز وجل. (مسلمون) مقرون بالعبودية مخلصون بالطاعة العبادة]

7363 - عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
قَالَ:كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ
وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَحْدَثُ،
تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ،
وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغَيَّرُوهُ،
وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ،
وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟
أَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟
لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ "( )

وقوله: (وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)

أي: منقادون مستسلمون لأمره.

- ومن آمن به، واتخذه إلها، وآمن بجميع كتبه ورسله،

وانقـــــاد للّه واتبـــــع رسله، فهو السعيـــــد،

- ومن انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقـــــي.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

(محضا) صرفا خالصا ليس فيه تغيير ولا تبديل ولا تحريف

(وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ)

أي: يا محمد،

هذا (ٱلْكِتَٰبَ)

الكريم، المبين كل نبأ عظيم،

الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل،

المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون.

(فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ)

فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى.

(يُؤْمِنُونَ بِهِۦ)

لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات،

وبما عندهم من البشارات،

وبما تميزوا به من معرفة [الحسن والقبيح والصدق والكذب]

***الَّذِينَ أَخَذُوهُ فتلَوْه حَقَّ تِلَاوَتِهِ مِنْ أَحْبَارِهِمُ الْعُلَمَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَأَشْبَاهِهِمَا.

(وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ)

الموجودين

*** الْعَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ،

(مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ)

إيمانا عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته.

(وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ)

الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له.

وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق،

وإلا فكل من له قصد صحيح،

فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات،

لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين،

الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله،

وهو لا يكتب بيده خطا،

ولا يقرأ خطا مكتوبا،

فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبلالارتياب،

أنه من عند اللّه العزيز الحميد،

ولهذا قال: (وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟)

أي: تقرأ

(مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا)

لو كنت بهذه الحال

(لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ)

***{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا} [الْفُرْقَانِ: 5]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ أَنزلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الْفُرْقَانِ: 6] ،

❍فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها،

فأما وقد نزل على قلبك، كتابا جليلا تحديت به الفصحاء والبلغاء،

الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله،

فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة،

لعلمهم ببلاغته وفصاحته،

وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجاريا له أو على منواله،

ولهذا قال:

بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

أي: (بَلْ هُوَ)

هذا القرآن

(ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ)

لا خفيات،

(فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ)

وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم.

❍فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء

كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما،

ولهذا قال: (وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ)

لأنه لا يجحدها إلا جاهل:-

تكلم بغير علم،

ولم يقتد بأهل العلم، و هو متمكن من معرفته على حقيقته،

و إمـــــا متجاهـــــــل:-

عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ}[يُونُسَ: 96، 97]

وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

(وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ)

أي و اعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول و لما جاء به،

و اقترحوا عليه نزول آيات عينوها، كقولهم:

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا)الآيات

فتعيين الآيات ليس عندهم، ولا عند الرسول ﷺ،

فإن في ذلك تدبيرا مع اللّه،

و أنه لو كان كذلك، و ينبغي أن يكون كذلك،

و ليس لأحد من الأمر شيء.

و لهذا قال:-(قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ)

إن شاء أنزلها أو منعها

***إِنَّمَا أَمْرُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّكُمْ تَهْتَدُونَ لَأَجَابَكُمْ إِلَى سُؤَالِكُمْ؛

لَأَنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ، يَسِيرٌ لَدَيْهِ،

وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْكُمْ أَنَّمَا قَصْدُكُمُ التَّعَنُّتُ وَالِامْتِحَانُ،

فَلَا يُجِيبُكُمْ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا} [الْإِسْرَاءِ: 59] .

(وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

و ليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة.

و إذا كان القصد بيان الحق من الباطل،

فإذا حصل المقصود – بأى طريق– كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلمـــــا و جـــــورا، و تكبـــــرا على اللّه وعلى الحق

❍بل لو قدر أن تنزل تلك الآيات،

ويكون في قلوبهم أنهم لا يؤمنون بالحق إلا بها،

كان ذلك ليس بإيمان،

وإنما ذلك شيء وافق أهواءهم، فآمنوا،

لا لأنه حق، بل لتلك الآيات.

فأي فائدة حصلت في إنزالها على التقدير الفرضي؟

***إِنَّمَا بُعِثْتُ نَذِيرًا لَكُمْ بَيِّنَ النِّذَارَةِ فَعَلَيَّ أَنْ أُبَلِّغَكُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ

وَ {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا}[الْ كَهْفِ: 17]

وَقَالَ تَعَالَى:{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ}[الْبَقَرَةِ: 272]

❍ولما كان المقصود بيان الحق، ذكر تعالى طريقه، فقـــــال:–

(أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ)

في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به

(أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ)

***صحيح البخاري

4981 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ،

وَ إِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ،

فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»(Ð)

Oو هذا كلام مختصر جامع، فيه مـــــــن:-

1-الآيـــات البينات،

2-و الدلالات الباهرات، شيء كثير،

Oفإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم آية أخرى،

ثم ظهوره، و بروزه جهرا علانية، يتلى عليهم

و يقال: هو من عند اللّه، قد أظهره الرسول،

و هو في وقت قلَّ فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه،

و لم يثن ذلك عزمه،

بل صرح به على رءوس الأشهاد،

و نادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي،

(أعطي ما مثله آمن عليه البشر) أجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها بصدق دعواه لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه.
(أوتيته) المعجزة التي أعطيتها. (وحيا) قرآنا موحى
به من الله تعالى يبقى إعجازه على مر الأزمان ولذلك يكثر المؤمنون به ويوم القيامة يكون أتباعه العاملون بشريعته المنزلة أكثر من الأتباع العاملين بالشرع الحق لكل نبي]

فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟.

❍ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.

ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح،

ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل،

ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه،

فما أمر بشيء فقال العقل « ليته لم يأمر به »

ولا نهى عن شيء فقال العقل: « ليته لم ينه عنه »

بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول

ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان ب

حيث لا تصلح الأمور إلا به.

❍فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق،

فلا كفى اللّه من لم يكفه القرآن،

ولا شفى اللّه من لم يشفه الفرقان

ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له فلذلك قال:

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً)

***بَيَانًا لِلْحَقِّ، وَ إِزَاحَةً لِلْبَاطِلِ

(وَذِكْرَىٰ)

***بِمَا فِيهِ حُلُولُ النِّقَمَاتِ وَ نُزُولُ الْعِقَابِ بِالْمُكَذِّبِينَ وَ الْعَاصِينَ،

(لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

و ذلك لما يحصلون فيه مـــــــــــن:-

1-العلم الكثيــر، و الخير الغزير،

2-و تزكيـــــــة القلوب و الأرواح،

3-و تطهيــــــر العقائد،

4-و تكميـــــل الأخلاق،

5-و الفتـــــوحات الإلهية،

6-و الأســـــرار الربانية.

(قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ)

***هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ،

وَيَعْلَمُ مَا أَقُولُ لَكُمْ مِنْ إِخْبَارِي عَنْهُ، بِأَنَّهُ أَرْسَلَنِي،

فَلَوْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيْهِ لَانْتَقَمَ مِنِّي،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}[الْحَاقَّةِ: 44-47]

***وَإِنَّمَا أَنَا صَادِقٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ،

ولِهَذَا أَيَّدَنِي بِالْمُعْجِزَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ.

*الميسر:شاهداً على صدقي أني رسوله،

وعلى تكذيبكم لي وردكم الحق الذي جئتُ به من عند الله،

○فأنا قد استشهدته، فإن كنت كاذبا، أَحَلَّ بي ما به تعتبرون،

و إن كان إنما يؤيدني و ينصرني وييسر لي الأمور،

فلتكفكم هذه الشهادة الجليلة من اللّه،

فإن وقع في قلوبكم أن شهادته – وأنتم لم تسمعوه ولم تروه–

لا تكفي دليلا

فإنه (يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

***لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

❍و من جملة معلوماته حالي و حالكم، و مقالي لكم

فلو كنت متقولا عليه، مع علمه بذلك، و قدرته على عقوبتي،

لكان قدحا في علمه و قدرته و حكمته كما قال تعالى:

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)

حيث هم خسروا الإيمان باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر،

و حيث فاتهم النعيم المقيم

و حيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح،

و في مقابلة النعيم كل عذاب أليم،

فخسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾
وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾
ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾
يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ)

يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول و ما جاء به،

و أنهم يقولون – استعجالا للعذاب، و زيادة تكذيب–

(مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ؟

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الْأَنْفَالِ: 32]

يقول تعالى:(وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى)

مضروب لنزوله، و لم يأت بعد،

(لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ)

بسبب تعجيزهم لنا و تكذيبهم الحق،

فلو آخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلائهم و عقوبتهم،

و لكن – مع ذلك– فلا يستبطئون نزوله،

(وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً)

***فجأة

❍فإنه سيأتيهم فوقع كما أخبر اللّه تعالى،

لما قدموا لـــــــ« بدر » بطرين مفاخرين، ظانين أنهم قادرون على مقصودهم،

فأهانهم اللّه، و قتل كبارهم، و استوعب جملة أشرارهم،

و لم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة،

فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، و نزل بهم

(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

هذا، و إن لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي،

فإن أمامهم العذاب الأخروي،

الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عُوْجِل بعذاب الدنيا أو أُمْهِل.

(يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ)

*الميسر:في الدنيا،و هو آتيهم لا محالة

إمّا في الدنيا و إما في الآخرة،

(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ)

ليس لهم عنها معدل و لا متصرف،

قد أحاطت بهم من كل جانب،

كما أحاطت بهم ذنوبهم و سيئاتهم و كفرهم،

و ذلك العذاب، هو العذاب الشديد.

(يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)

فإن أعمالكم انقلبت عليكم عذابا،

و شملكم العذاب كما شملكم الكفر و الذنوب.

*** كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}[الْأَعْرَافِ: 41]

وَ قَالَ:{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}[الزُّمَرِ: 16]

وَ قَالَ:{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ}[الْأَنْبِيَاءِ: 39]

فَالنَّارُ تَغْشَاهُمْ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهِمْ، وَ هَذَا أَبْلَغُ فِي الْعَذَابِ الْحِسِّيِّ.

(وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

***تَهْدِيدٌ وَ تَقْرِيعٌ وَ تَوْبِيخٌ،

وَ هَذَا عَذَابٌ مَعْنَوِيٌّ عَلَى النُّفُوسِ، كَقَوْلِهِ:

{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}

[الْقَمَرِ: 48، 49]

وَ قَالَ {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ. اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور: 13-16] .

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾

ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى:

أمر الله بالهجرة و ثواب الصابرين 56-60

(يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟)

بي و صدقوا رسولي

(إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـَٰىَ فَٱعْبُدُونِ)

فإذا تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض،

فارتحلوا منها إلى أرض أخرى

حيث كانت العبادة للّه وحده،

فأماكن العبادة و مواضعها، واسعة، و المعبود واحد،

و الموت لا بد أن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم،

فيجازي من أحسن عبادته

و جمع بين الإيمان و العمل الصالح بإنزاله الغرف العالية،و المنازل الأنيقة الجامعة لما تشتهيه الأنفس، و تلذ الأعين، و أنتم فيها خالدون.

***وَ لِهَذَا لَمَّا ضَاقَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مُقَامَهُمْ بِهَا،
خَرَجُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، لِيَأْمَنُوا، عَلَى دِينِهِمْ هُنَاكَ،
فَوَجَدُوا هُنَاكَ خَيْرَ الْمَنْزِلَيْنِ، أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيَّ مَلِكَ الْحَبَشَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ،
آوَاهُمْ وَ أَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ،
وَ جَعَلَهُمْ شُيُوما بِبِلَادِهِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ أَصْحَابُهُ الْبَاقُونَ إِلَى المدينة النبوية يثرب المطهرة

(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ)

***أَيْنَمَا كُنْتُمْ يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ،
فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ،
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَ لَا مَحِيدَ عَنْهُ،

(ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)

ثُمَّ إِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ وَ الْمَآبُ،
فَمَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُ جَازَاهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَ وَافَاهُ أتمَّ الثَّوَابِ
وَ لِهَذَا قَالَ:

{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا}

أَيْ: لَنُسْكِنَنَّهُمْ مَنَازِلَ عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ

(تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)

عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا، مِنْ مَاءٍ وَ خَمْرٍ، و عسل و لبن،
يصرفونها و يجرونها حيث شاؤوا،

{خَٰلِدِينَ فِيهَا}

أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

فـــــــــــ(نِعْمَ)

تلك المنازل، في جنات النعيم

(أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ)

للّه.

(ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟)

على عبادة اللّه

(وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

*الميسر:و على الله يعتمدون في أرزاقهم و جهاد أعدائهم.

❍في ذلك.

فصبرهم على عبادة اللّه، يقتضـــــي :-

1-بذل الجهد و الطاقة في ذلك،

2-و المحاربة العظيمة للشيطان،

الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك،

و توكلهم، يقتضـــــي :-

1-شدة اعتمادهم على اللّه،

2-و حسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال و يكملها،

و نص على التوكل، و إن كان داخلا في الصبر،

لأنه يحتاج إليه في كل فعل و ترك مأمور به، و لا يتم إلا به.

***ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى أَنَّ الرِّزْقَ لَا يُخْتَصُّ بِبُقْعَةٍ،
بَلْ رِزْقُهُ تَعَالَى عَامٌّ لِخَلْقِهِ حَيْثُ كَانُوا وَ أَيْنَ كَانُوا،
بَلْ كَانَتْ أَرْزَاقُ الْمُهَاجِرِينَ حَيْثُ هَاجَرُوا أَكْثَرَ وَ أَوْسَعَ وَ أَطْيَبَ،

فَإِنَّهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ صَارُوا حُكَّامَ الْبِلَادِ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَ الْأَمْصَارِ؛
وَ لِهَذَا قَـــالَ: -

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

أي: الباري تبارك و تعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم،قويهم و عاجزهم،

اعتراف المشركين 61-63

(وَكَأَيِّن)

فكم

(مِّن دَآبَّةٍ)

في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل.

(لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا)

و لا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق،

و لا يزال اللّه يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته.

(ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ)

فكلكم عيال اللّه، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم و تدبيركم،

***اللَّهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا، وَ يُيَسِّرُهُ عَلَيْهَا،
فَيَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ،
حَتَّى الذَّرِّ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ، وَ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَ الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هُودٍ: 6]
***وَ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْغُرَابَ إِذَا فَقَسَ عَنْ فِرَاخِهِ البَيض،

خَرَجُوا وَ هُمْ بيضٌ فَإِذَا رَآهُمْ أَبَوَاهُمْ كَذَلِكَ، نَفَرَا عَنْهُمْ أَيَّامًا حَتَّى يَسْوَدَّ الرِّيشُ، فَيَظَلُّ الْفَرْخُ فَاتِحًا فَاهُ يَتَفَقَّدُ أَبَوَيْهِ، فَيُقَيِّضُ اللَّهُ لَهُ طَيْرًا صِغَارًا كالبَرغَش فَيَغْشَاهُ فَيَتَقَوَّتُ مِنْهُ تِلْكَ الْأَيَّامَ حَتَّى يَسْوَدَّ رِيشُهُ، وَ الْأَبَوَانِ يَتَفَقَّدَانِهِ كُلَّ وَقْتٍ، فَكُلَّمَا رَأَوْهُ أَبْيَضَ الرِّيشِ نَفَرَا عَنْهُ، فَإِذَا رَأَوْهُ قَدِ اسْوَدَّ رِيشُهُ عَطَفَا عَلَيْهِ بِالْحَضَانَةِ وَ الرِّزْقِ، وَ لِهَذَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا رَازِقَ النعَّاب في عُشه ... و جَابر العَظْم الكَسِير الْمَهِيضِ ...

(وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)

فلا يخفى عليه خافية،

و لا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه.

كما قال تعالى:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ)

هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية و العبادة،

و إلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية،

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ)

*ذلل

(لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ)

وحده،

و لاعْتَرَفُوا بعجز الأوثان و من عبدوه مع اللّه على شيء من ذلك.

(فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)

*الميسر:فكيف يصرفون عن الإيمان بالله خالق كل شيء و مدبره و يعبدون معه غيره؟

فاعجب لإفكهم و كذبهم، و عدولهم إلى من أقروا بعجزه،

و أنه لا يستحق أن يدبر شيئا،

و سَجِّلْ عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام

فهل تجد أضعف عقلا و أقل بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر و نحوه،

و هو يدري أنه لا ينفع و لا يضر، و لا يخلق و لا يرزق،

ثم صرف له خالص الإخلاص، و صافي العبودية،

و أشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار.

و قل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال،

و أوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذره الموفقون.

(ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ)

*الميسر:الله سبحانه و تعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه

(وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ)

و يضيق على آخرين منهم؛ لعلمه بما يصلح عباده،

(إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ)

من أحوالكم و أموركم

(عَلِيمٞ)

لا يخفى عليه شيء.

(وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا)

*الميسر:مَنِ الذي نزّل من السحاب ماء فأنبت به الأرض من بعد جفافه

❍و من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها،

و من بيده تدبير جميع الأشياء؟

(لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ)

*الميسر:ليقولُنّ لك معترفين: الله وحده هو الذي نزّل ذلك

(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ)

الذي خلق العالم العلوي و السفلي،

و قام بتدبيرهم و رزقهم،

و بسط الرزق على من يشاء،

و ضيقه على من يشاء، حكمة منه،

و لعلمه بما يصلح عباده و ما ينبغي لهم.

*الميسر:قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم،

(بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ)

*الميسر:ما ينفعهم و لا ما يضرهم،

و لو عَقَلوا ما أشركوا مع الله غيره.

***فَكَمَا أَنَّهُ الْوَاحِدُ فِي مُلْكِهِ فَلْيَكُنِ الْوَاحِدَ فِي عِبَادَتِهِ،

وَ كَثِيراً مَا يُقَرِّرُ تَعَالَى مَقَامَ الْإِلَهِيَّةِ بِالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَ قَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ ما جاء فى صحيح مسلم ***

(1185) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ،

قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ»

فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَ مَا مَلَكَ،

يَقُولُونَ هَذَا وَ هُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ

وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ
لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ
فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ
حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨
وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩

سورة الروم-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ
سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ
يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥

وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾

❍يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة،

وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى،

فقال: (وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ)

حقيقة الدنيا و طبيعة الكفار فيها 64-67

في الحقيقة

(إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ)

تلهو بها القلوب

(وَلَعِبٞ)

وتلعب بها الأبدان،

بسبب ما جعل اللّه فيها من الزينة واللذات،

والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة،

الباهجة للعيون الغافلة،

المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة،

ثم تزول سريعا، وتنقضي جميعا،

ولم يحصل منها محبها إلا على الندم والحسرة والخسران.

(وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ)

وأما الدار الآخرة،

فإنها دار (ٱلۡحَيَوَانُۚ)

أي: الحياة الكاملة،

التي من لوازمهـــــا:-

1-أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة،وقواهم في غاية الشدة

لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة،

2-وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة،وتتم به اللذات

من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان،

من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك،

مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ)

لما آثروا الدنيا على الآخرة،

ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان،

ورغبوا في دار اللهو واللعب،

فدل ذلك على أن الذين يعلمون،

لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين.

(فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)

ثم ألزم تعالى المشركين بإخلاصهم للّه تعالى، في حالة الشدة،

عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك،

يتركون إذا أندادهم، ويخلصون الدعاء للّه وحده لا شريك له،

*** كَقَوْلِهِ{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ}[الْإِسْرَاءِ::67] .

وَقَالَ هَاهُنَا:-

(فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ)

فلما زالت عنهم الشدة، ونجى من أخلصوا له الدعاء إلى البر،

(إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)

أشركوا به من لا نجاهم من شدة، ولا أزال عنهم مشقة.

❍فهلا أخلصوا للّه الدعاء في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر،

ليكونوا مؤمنين به حقا، مستحقين ثوابه، مندفعا عنهم عقابه.

ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر،

(لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ)

ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة،

(وَلِيَتَمَتَّعُواْ)

وليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام،

ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم.

***هَذِهِ اللَّامُ يُسَمِّيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ وَعُلَمَاءِ الْأُصُولِ (((لَامَ الْعَاقِبَةِ)))

لِأَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ ذَلِكَ

وَلَا شَكَّ أَنَّهَا كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ،

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَتَقْيِيضِهِ إِيَّاهُمْ لِذَلِكَ فَهِيَ لَامُ التَّعْلِيلِ.

وَقَدْ قدَّمْنا تَقْرِيرَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [الْقَصَصِ: 8] .

(فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ)

حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة.

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا)

ثم امتن عليهم بحرمه الآمن،وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق،

*الميسر:يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم

(وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ)

والناس من حولهم يتخطفون ويخافون،

أفلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}[قُرَيْشٍ: 1-4]

(أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ)

وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الباطلة.

(وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ)

هم

(يَكْفُرُونَ)

فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم

حيث آثـــــروا:-

الضلال على الهدى،

والباطل على الحق،

والشقاء على السعادة،

وحيث كانوا أظلم الخلق.

عقاب الكافرين و جزاء المحسنين 68-69

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)

فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى اللّه،

(أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ)

على يد رسوله محمد ﷺ

ولكن هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم

***لا أحدعُقُوبَةً مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ:
إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ.
وَمَنْ قَالَ: سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.
وَهَكَذَا لَا أَحَدَ أَشَدُّ عُقُوبَةً مِمَّنْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ،
فَالْأَوَّلُ مُفْتَرٍ، وَالثَّانِي مُكَذِّبٌ؛
وَلِهَذَا قَالَ:-

(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ)

يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها،

وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه.

(وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا)

وهم الذين هاجروا في سبيل اللّه،

وجاهدوا أعداءهم،

وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته،

(لَنَهْدِيَنَّهُمْ)

***لنُبَصرنهم

(سُبُلَنَا ۚ)

الطرق الموصلة إلينا(طُرُقَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وذلك لأنهم محسنون.

(وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

بالعـــــون والنصـــــر والهـــــداية.

دل هـــــذا، على أن:-

1-أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد،

2-وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه اللّه ويسر له أسباب الهداية

3-وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي،

فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية،

خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم،

❍فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل اللّه،

بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق،

وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين،

والجهاد على تعليم أمور الدين،

وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين.

تم تفسير سورة العنكبوت بحمد اللّه وعونه.

تفسير سورة الروم -وهي مكية

سورة الروم-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ
سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ
يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥

الوعد بالنصر للمؤمنين 1-7

(الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ)

***وَأَمَّا الرُّومُ فَهُمْ مِنْ سُلَالَةِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ،
وَهُمْ أَبْنَاءُ عَمِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: بَنُو الْأَصْفَرِ.

(فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ)

*** سنن الترمذي ت شاكر
3193 -عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
{الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ} [الروم: 2]
قَالَ: غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ،
كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ،
وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ»،
فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ،
فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا،

فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا،
وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا،
فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا،
فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ،
قَالَ:- «أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ» -
قَالَ:- أُرَاهُ العَشْرَ،
قَالَ سَعِيدٌ:- وَالْبِضْعُ مَا دُونَ العَشْرِ –
قَالَ:-ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ.
قَالَ:-فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم: 1]-
إِلَى قَوْلِهِ - {يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} [الروم: 4]
قَالَ سُفْيَانُ: «سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ»
***صحيح البخاري
4767 -عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:
" خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الدُّخَانُ، وَالقَمَرُ، وَالرُّومُ، وَالبَطْشَةُ، وَاللِّزَامُ "
{فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} [الفرقان: 77]

❍كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض،
وكان يكون بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة.

❍وكانت الفرس مشركين يعبدون النار،

❍وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل
وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس
فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس،

وكان المشركون – لاشتراكهم والفرس في الشرك–
يحبون ظهور الفرس على الروم.
❍فظهر الفرس على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم،
ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون،
فأخبرهم اللّه ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس.

(فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ)
تسع أو ثمان ونحو ذلك مما لا يزيد على العشر،
ولا ينقص عن الثلاث،
وأن غلبة الفرس للروم ثم غلبة الروم للفرس
كل ذلك بمشيئته وقدره

ولهذا قال: (لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ)
فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب،
وإنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر.

(وَيَوۡمَئِذٖ)
أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم

(يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ)
أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس
وإن كان الجميع كفارا

ولكن بعض الشر أهون من بعض ويحزن يومئذ المشركون.

(وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ)

الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين

يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء

ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

(ٱلرَّحِيمُ)

بعباده المؤمنين

حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم

ما لا يدخل في الحساب.

الاعجاز فى (أدنى الأرض)

الرابط

مقدمة:

لقد أيد الله تعالى رسوله محمداً ﷺبأنواع من المعجزات؛

وكل ذلك لإقامة الحجة والبرهان على الناس،

وأقوى تلك المعجزات هي القرآن الكريم،

فقد اشتمل على أنواعٍ من البينات والبراهين،

ومن ذلك إخباره عن بعض الحقائق العلمية في هذا الكون،

فتارة يخبر عن أمر في أعماق البحار

وتارة في باطن الأرض

وتارة في أعالي السماء.

ولقد كان للأرض التي نعيش عليها نصيب من هذه الإخبارات العلمية، فقد أطلعنا القرآن الكريم على حقيقة علمية في سورة الروم عند قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّوم * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: 2-3].

وهي أن المنطقة التي التقى فيها الروم مع أعدائهم

وهُزموا فيها على عهد النبي ﷺهي أخفض منطقة على سطح الأرض.

وفي هذا البحث سنعرض هذه الحقيقة العلمية، ووجه الإعجاز فيها.

سبب نزول هذه الآيات:.

إن سبب نزول هذه الآيات هو وقوع معركة بين مملكتي فارس والروم في منطقة قرب البحر الميت حيث انتصر فيها الفرس،

وكان ذلك سنة 619م.

ولقد أصاب المسلمين الحزن نتيجة لانهزام الروم

لأنهم أهل كتاب وديانة سماوية بينما الفرس مجوس وعبّاد للنار،

فوعد الله تعالى المسلمين بأن الفرس ستُغلب في المعركة الثانية بعد بضع سنين

وأن نصر الروم سيتزامن مع نصر المسلمين على المشركين.

والبضع هو ما بين الثلاثة إلى التسعة[1]، أو ما دون العشرة[2].

وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات أي ضمن المدة التي حددها من قبل،

حيث وقعت معركة أخرى بين الفرس والروم سنة 626م

وانتصر فيها الروم وتزامن ذلك مع انتصار المسلمين على مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى[3].

مكان المعركة:

يقول المفسرون أن مكان المعركة هو بين أذرعات وبصرى[4]،

ونُقِلَ عن ابن عباس والسدي ومقاتل أن مكان المعركة هو بين الأردن وفلسطين[5]،

وعلى القول الثاني يكون غور الأردن هو مكان المعركة.

معاني (أدنى الأرض):

عند تصفح كتب التفسير نجد أنها تذكر معنى واحداً من معاني (أدنى)،

وهو (أقرب)،

فقالوا معنى الآية ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾:-

أقرب بلاد الشام للعرب أو أقرب بلاد الروم للعرب[6].

لكن هناك معانٍ أخرى لكلمة (أدنى)،

فهي تأتي بمعنى (أقل) كما في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ

مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]،

فقوله تعالى: ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾

بمعنى: ولا أقل من ذلك، لأن أقل تقابل أكثر[7].

وتأتي كلمة (أدنى) بمعنى (أخفض أو أسفل)،

وجاء في معجم مقاييس اللغة:-

" الدال والنون أصلٌ واحد يدلّ على تطامُنٍ وانخفاض،

فالأدَنُّ: الرجل المنحنِي الظَّهر، يقال منه قد دَنِنْتَ دَنَناً،

ويقال بيتٌ أدنّ، أي متطامِنٌ، وفرسٌ أدَنّ، أي قصير اليدين،

وإذا كان كذلك كان منْسجُهُ منْخفضاً

ومن ذلك الدَّنْدَنَة، وهو أنْ:-

تُسمَع من الرَّجل نَغْيَةٌ لا تُفْهَم؛

وذلك لأنّه يخفِض صوتَه بما يقوله ويُخفيه.

ومنه الحديث: «فأمَّا دَنْدَنَتُكَ ودندنةُ مُعاذٍ فلا نُحْسِنُهُمَا»[8]،[9].

ومن ذلك ما جاء في لسان العرب:.

والأدنى: السَّفِلَ[10]،

وجاء أيضاً في التهذيب:-

قال ابن السكيت: ويقال: لقد دنأت تدنأ، مهموز.

أي سفلت في فعلك ومَجُنْتُ[11].

ومما يدعم هذا المعنى في هذا الموطن قراءة شاذة،

فقد قرأ أُبيُّ بن كعب، والضحاك، وأبو رجاء، وابن السميفع:

(في أَداني الأرض)[12]،

وأداني الشيء هي أخافضه،

والقراءة الشاذة يعتبرها بعض العلماء مفسرة للقرآن الكريم.

وقد استعمل الشعراء كلمة (أدنى) بمعنى أخفض في أشعارهم،

ومن ذلك قول ابن قيم الجوزية في نونيته المشهورة:-

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن تفعل رجعت بذلة وهوان

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتح .....ـــــرم ذا وذا يا ذلة الحرمانِ

فالأدنى هنا بمعنى الأخفض؛ لأنها تقابل الأعلى.

وأتت كلمة (أدنى) بمعنى الوادي،

ففي القاموس المحيط:-

الأدنيان وهما واديان[13].

ومن خلال هذا الاستعراض نجد أن المعنى الذي يناسب قوله تعالى:

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ [الروم:3]هو:-

في أخفض الأرض.

وأما الاعتراض على هذا المعنى بأن المفسرين لم يشيروا إليه،

فهو اعتراض غير صحيح؛ لأنه معنى تحتمله اللغة،

واللغة هي المرجع الذي يرجع إليه المفسرون في تفسيرهم بعد التفسير بالمأثور،

وقد درج الصحابة رضوان الله عليهم على تتبع لهجات العرب من خلال الاستماع إلى أشعارهم وكلامهم

والاستفادة منها في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية،

وسار على هذا النهج من جاء بعدهم من العلماء.

وأما الاعتراض بأن معاجم اللغة العربية لم تذكر هذا المعنى

فهو اعتراض غير صحيح؛

لأن المعاجم لم تشمل كل اللغة بل اشتملت على معظمها،

بدليل الاختلاف بين هذه المعاجم من حيث المادة الموجودة والحجم،

فكيف إذا كان هذا المعنى منصوصاً عليه في المعاجم،

فقد ذكرت المعاجم أن من معاني (الأدنى) السَّفِلَ،

و كذلك الوادي كما جاء في القاموس المحيط،

و لئن هذا يدل على ورود هذا المعنى في المعاجم اللغوية.

وأضف إلى هذا استعمال الشعراء لهذا المعنى بدون غضاضة في أشعارهم كما رأينا سابقاً.

وكل هذا يؤكد أن تفسير كلمة (الأدنى) بالأخفض أو الأسفل يعتبر تفسيراً صحيحاً ولا مانع منه،

بل هو التفسير الذي يناسب هذا السياق المشتمل على الإعجاز الغيبي، فناسب إرداف هذا الإعجاز بإعجاز من نوع آخر، والله أعلم.

(أدنى الأرض) في العلوم الحديثة:-

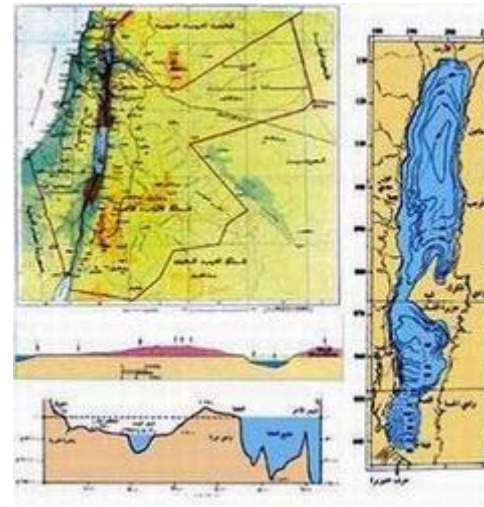

ثبت علمياً بقياسات عديدة أن أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً هـــــو:-

غور البحر الميت،

و يقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضاً،

حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر،

ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزائه إلى قرابة الثمانمائة متر تحت مستوى سطح البحر،

وهو بحيرة داخلية بمعنى أن قاعها يعتبر في الحقيقة جزءاً من اليابسة،

وغور البحر الميت هو جزء من خسف أرضي عظيم يمتد من منطقة البحيرات في شرقي إفريقيا إلى بحيرة طبريا،

فالحدود الجنوبية لتركيا، مروراً بالبحر الأحمر، وخليج العقبة،

ويرتبط بالخسف العميق في قاع كل من المحيط الهندي،

وبحر العرب وخليج عدن،

ويبلغ طول أغوار وادي عربة . البحر الميت . بالأردن حوالي الستمائة كيلومتر،

ممتدة من خليج العقبة في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال،

ويتراوح عرضها بين العشرة والعشرين كيلومترا.

ويعتبر منسوب سطح الأرض فيها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً

حيث يصل منسوب سطح الماء في البحر الميت إلي402 متراً

تحت المستوى المتوسط لمنسوب المياه في البحرين المجاورين:-

الأحمر والأبيض المتوسط،

وهو أخفض منسوب أرضي على سطح اليابسة[14].

وجه الإعجاز:-

اشتملت سورة الروم على إعجاز غيبي يتمثل في الإخبار عن أن الروم الذين هُزموا على أيدي الفرس سوف تكون لهم الغلبة والكرّة
وأن هذا الانتصار سيكون في مدة لا تتعدى التسع السنوات،
وفعلاً لم تمضِ هذه المدة حتى علت راية الروم على الفرس
وغلبوهم واستردوا أراضيهم التي استولى عليها الفرس،
فكان هذا سبباً في إسلام كثير من الناس الذين كانوا يترقبون تحقق هذه النبوءة القرآنية.

و مع هذا الإعجاز الغيبي:-

فقد جاء الإخبار عن حقيقة علمية هامة،
وهذه الحقيقة هي أن الأرض التي التقى فيها الروم مع الفرس
وهُزم فيها الروم هي أخفض منطقة على سطح الأرض.
ومن خلال أقوال المفسرين والمصادر التاريخية
فقد كان هذا اللقاء بين الأردن وفلسطين، وهو ما يسمى غور الأردن.
وهذا هو ما أثبته العلم في هذا العصر،
فغور الأردن هو أخفض منطقة على سطح الأرض،
ولم يتوصل العلم لهذه الحقيقة إلا في هذا العصر،
ولم يكن هذا الاكتشاف مقدوراً عليه إلى وقت قريب
فضلاً عن أن يعرفه أحد أو يخبر به قبل ألف وأربعمائة عام.
فكان الإخبار عن هذه الحقيقة سبقاً علمياً للقرآن الكريم،

مما يدل على أن هذا القرآن هو كلام الخالق سبحانه الذي خلق كل شيء وأحاط علمه بكل شيء،

وأن نبينا محمداً ﷺالذي تلقى هذا الوحي هو رسول الله الخاتم الذي كان موصولاً بالوحي الإلهي.

إعداد: عادل الصعدي

مراجعة: علي عمر بلعجم( )

---

(1) لسان العرب 9/ 342.

(2) تفسير الطبري 7/ 219.

(3) تفسير الطبري 10/ 162، تفسير ابن كثير3/ 560.

(4) تفسير الطبري 10/ 162، تفسير ابن كثير 3/ 560، تفسير البغوي 1/ 259.

(5) الكشاف للزمخشري 1/ 959، روح المعاني للآلوسي 21/ 17.

(6) تفسير الطبري 10/ 162، تفسير ابن كثير 3/ 560، تفسير البغوي 1/ 259.

(7) تفسير الطبري 23/ 237.

(8) سنن أبي داود2/ 446، برقم: 672، وسنن ابن ماجه3/ 158، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب1/ 108، برقم: 104.

(9) معجم مقاييس اللغة2/ 261.

(10) لسان العرب 14/ 271، تهذيب اللغة 4/ 482.

(11) تهذيب اللغة 4/ 481.

(12) الكشاف للزمخشري 5/ 233، زاد المسير 5/ 89، تفسير أبي السعود 5/ 270، روح المعاني للآلوسي 21/ 17، المحرر الوجيز 5/ 240، هيمان الزاد 10/ 353.

(13) القاموس المحيط 3/ 420.

(14) أدنى الأرض للدكتور زغلول النجار.

وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا
مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ
ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ
وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ
فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾
ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧

(وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ)

فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لا بد من وقوعه.

❍فلما نزلت هذه الآيات التي فيها هذا الوعد صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عينوها،

❍فلما جاء الأجل الذي ضربه اللّه انتصر الروم على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد اللّه.

❍وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها اللّه قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم اللّه بها من المسلمين والمشركين.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)

أن ما وعد اللّه به حق

فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله،ويكذبون آياته.

وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها.

وإنمـــــا (يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

فينظرون إلى الأسبـــــاب

❍ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده

❍ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئا،

فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

(وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ)

قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة،

فلا الجنة تشتاق إليها

و لا النار تخافها وتخشاها

ولا المقام بين يدي اللّه ولقائه يروعها ويزعجها

✡وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.

❍ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

❍وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به

❍وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم اللّه عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء

❍وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب،

قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.

❍ثم نظروا إلى ما أعطاهم اللّه وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و ما حرموا من العقل العالي

فعرفوا أن الأمر للّه والحكم له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه،ويحلوا بساحته

❍وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرُّقِيَّ العالي والحياة الطيبة،

ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا :-

هبـــــوط الأخلاق وأسباب الفنـــــاء والتـــــدمير .

أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠

(أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ)

أي: أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل اللّه ولقائه

(فِيٓ أَنفُسِهِمۗ)

فإن في أنفسهم آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك

❍و أن الذي نقلهم أطوارا من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم،

غير لائق أن يتركهم سدى مهملين :-

لا ينهون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون

(مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ)

*الميسر:-لإقامة العدل والثواب والعقاب

❍أي ليبلوكم أيكم أحسن عملا.

(وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ)

أي: مؤقت بقاؤهما إلى أجل تنقضي به الدنيا

وتجيء به القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

(وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ)

فلذلك لم يستعدوا للقائه

ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به

وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة قد دلت على البعث والجزاء

(أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ

ولهذا نبههم على السير في الأرض

والنظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم

وخالفوا أمرهم

(كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ)

ممن هم أشد من هؤلاء قوة

(وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ)

وأكثر آثارا في الأرض مـــــــن:-

بناء قصور ومصانع ومن غرس أشجار ومن زرع وإجراء أنهار

(وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا)

*الميسر:فعَمَروا دنياهم أكثر مما عَمَر أهل «مكة» دنياهم

(وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ)

فلم تغن عنهم قوتهم ولا نفعتهم آثارهم

حين كذبوا رسلهم الذين جاءوهم بالبينات الدالات على الحق

وصحة ما جاءوهم به،

فإنهم حين ينظرون في آثار أولئك لم يجدوا إلا أمما بائدة وخلقا مهلكين

ومنازل بعدهم موحشة وذم من الخلق عليهم متتابع.

وهذا جزاء معجل نموذج للجزاء الأخروي ومبتدأ له.

(فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ)

وكل هذه الأمم المهلكة لم يظلمهم اللّه بذلك الإهلاك

وإنما ظلموا أنفسهم وتسببوا في هلاكها.

(وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ)

*الميسر:وإنما ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان.

(ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ)

*الميسر:ثم كانت عاقبة أهل السوء من الطغاة والكفرة أسوأ العواقب وأقبحها؛

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الْأَنْعَامِ: 110]

وَقَوْلُهُ:{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصَّفِّ: 5]

وَقَالَ:{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} [الْمَائِدَةِ: 49] .

❍أي: الحالة السيئة الشنيعة

وصار ذلك داعيا لهم لـــــ(أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

*الميسر:لتكذيبهم بالله

(وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ)

الميسر:سخريتهم بآياته التي أنزلها على رسله.

❍فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم.

❍ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب يكون سببـــــا:-

لأعظم العقوبات وأعضل المثلات.

ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

اثبات البعث و احوال الناس 11-16

(ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ)

يخبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقاتثم يعيدهم

(ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)

يرجعون بعد إعادتهم ليجازيهم بأعمالهم،

ولهذا ذكر جزاء أهل الشر ثم جزاء أهل الخير فقال:-

(وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ)

أي: يقوم الناس لرب العالمين ويردون القيامة عيانا،

يومئذ (يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ)

أي: ييأسون من كل خير.

و ذلك أنهم ما قدموا لذلك اليوم إلا الإجرام وهي الذنوب، مـــــن :-

كفـــــر وشـــــرك ومعـــــاصي،

❍فلما قدموا أسباب العقاب

ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب،

أيسوا وأبلسوا وأفلسوا

وضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركائهم وأنهم يشفعون لهم،

ولهذا قال: (وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ)

التي عبدوها مع اللّه

(شُفَعَـٰٓؤُا)

*الميسر:بل إنها تتبرأ منهم،

***مَا شَفَعَتْ فِيهِمُ الْآلِهَةُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكَفَرُوا بِهِمْ وَخَانُوهُمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِمْ.

(وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ)

تبرأ المشركون ممن أشركوهم مع اللّه وتبرأ المعبودون وقـــــالوا:

(تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ)

والتعنوا وابتعدوا،

(وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ)

وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا.

***قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ -وَاللَّهِ -الْفُرْقَةُ الَّتِي لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهَا، يَعْنِي:- إِذَا رُفِعَ هَذَا إِلَى عِلِّيِّينَ، وَخُفِضَ هَذَا إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، فَذَاكَ آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَهُمَا؛ وَلِهَذَا قَالَ:-

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

آمنوا بقلوبهم وصدقوا ذلك بالأعمال الصالحة

(فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ)

فيها سائر أنواع النبات وأصناف المشتهيات،

(يُحۡبَرُونَ)

أي: يسرون وينعمون بـــــــ:-

المآكل اللذيذة والأشربة والحور الحسان والخدم

والولدان والأصوات المطربات والسماع المشجي والمناظر العجيبة

والروائح الطيبة والفرح والسرور واللذة والحبور

مما لا يقدر أحد أن يصفه.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ
﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ
خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم
مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ
مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا
وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾

(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

وجحدوا نعمه وقابلوها بالكفر

(وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا)

التي جاءتهم بها رسلنا

(وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ)

فيه،

قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم

و اطَّلع العذاب الأليم على أفئدتهم

وشوى الحميم وجوههم وقطَّع أمعاءهم،

فأين الفرق بين الفريقين وأين التساوي بين المنعمين والمعذبين؟

فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾

(فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ)

التنزيه و التحميد لله 17-29

هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص

وتقدسه عن أن يماثله أحد من الخلق

وأمر للعباد أن يسبحوه حين يمسون وحين يصبحون

ووقت العشي ووقت الظهيرة.

❍فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر اللّه عباده بالتسبيح فيها والحمد،

ويدخل في ذلك الواجـــــب منـــــــــه :-

كالمشتملة عليه الصلوات الخمس،

والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات

وما يقترن بها من النوافل،

لأن هذه الأوقات التي اختارها اللّه لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها

فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها

بل العبادةوإن لم تشتمل على قول « سبحان اللّه »

فإن الإخلاص فيها تنزيه للّه بالفعل أن يكون له شريك في العبادة

أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة.

(وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا)

***فَالْعَشَاءُ هُوَ:-

شِدَّةُ الظَّلَام،

فَسُبْحَانَ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلِ اللَّيْلَ سَكَنًا، كَمَا قَالَ:

{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا* وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} [الشَّمْسِ: 3، 4]

وَقَالَ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [اللَّيْلِ: 1، 2]

وَقَالَ: {وَالضُّحَى*وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضُّحَى: 1، 2]

(وَحِينَ تُظْهِرُونَ)

***وَالْإِظْهَارُ: قُوَّةُ الضِّيَاءِ.

(يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ)

***هُوَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَابِلَةِ.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمُتَتَابِعَةُ الْكَرِيمَةُ كُلُّهَا مِنْ هَذَا النَّمَطِ،

فَإِنَّهُ يَذْكُرُ فِيهَا خَلْقَهُ الْأَشْيَاءَ وَأَضْدَادَهَا، لِيَدُلَّ خَلْقُهُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ،

كما يخرج النبات من الأرض الميتة

والسنبلة من الحبة

والشجرة من النواة

والفرخ من البيضة

والمؤمن من الكافر، ونحو ذلك.

(وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ)

بعكس المذكور

(وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)

فينزل عليها المطر وهي ميتة هامدة

فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج

*** كَقَوْلِهِ:{وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ}[يس: 33، 34]

وَقَالَ:{وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ}[الْحَجِّ: 5 -7]

وَقَالَ:{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الْأَعْرَافِ: 57] وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَـــا:

(وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ)

من قبوركم.

فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع أن الذي أحيا الأرض بعد موتها

فإنه يحيي الأموات،

فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين

ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر.

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا

وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١

هذا شروع في تعداد آياته الدالة على انفراده بالإلهية وكمال عظمته،

ونفوذ مشيئته وقوة اقتداره وجميل صنعه وسعة رحمته وإحسانه

فقال:(وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ)

وذلك بخلق أصل النسل آدم عليه السلام

***فَأَصْلُكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ،
ثُمَّ تَصَوّر فَكَانَ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً،
ثُمَّ صَارَ عِظَامًا، شَكْلُهُ عَلَى شَكْلِ الْإِنْسَانِ،
ثُمَّ كَسَا اللَّهُ تِلْكَ الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِذَا هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.
ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ صَغِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى وَالْحَرَكَةِ،
ثُمَّ كَلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ تَكَامَلَتْ قُوَاهُ وَحَرَكَاتُهُ
حَتَّى آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ صَارَ يَبْنِي الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونَ،
وَيُسَافِرُ فِي أَقْطَارِ الْأَقَالِيمِ،
وَيَرْكَبُ مَتْنَ الْبُحُورِ، وَيَدُورُ أقطارَ الْأَرْضِ
وَيَتَكَسَّبُ وَيَجْمَعُ الْأَمْوَالَ،
وَلَهُ فِكْرَةٌ وَغَوْرٌ، وَدَهَاءٌ وَمَكْرٌ، وَرَأْيٌ وَعِلْمٌ،
وَاتِّسَاعٌ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلٌّ بِحَسَبِهِ.
فَسُبْحَانَ مَنْ أَقْدَرَهُمْ وسيّرهم وَسَخَّرَهُمْ وَصَرَّفَهُمْ فِي فُنُونِ الْمَعَايِشِ وَالْمَكَاسِبِ،
وَفَاوَتَ بَيْنَهُمْ فِي الْعُلُومِ وَالْفِكْرَةِ، وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ؛
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}

(ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ)

أي: الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة

وبثكم في أقطار الأرض وأرجائها

ففي ذلك آيات على أن الذي أنشأكم من هذا الأصل

وبثكم في أقطار الأرض هو الرب المعبود الملك المحمود

والرحيم الودود الذي سيعيدكم بالبعث بعد الموت.

***سنن الترمذي ت شاكر

2955 - عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ،

فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ،

فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ،

وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»

(وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ)

الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط،

(أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا)

تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن

***خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ إِنَاثًا يَكُنَّ لَكُمْ أَزْوَاجًا،

(لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا)

*الميسر:لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}[الْأَعْرَافِ: 189]

يَعْنِي بِذَلِكَ: حَوَّاءَ، خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْ آدَمَ مِنْ ضِلَعه الْأَقْصَرِ الْأَيْسَرِ.

وَلَوْ أَنَّهُ جَعَلَ بَنِي آدَمَ كُلَّهُمْ ذُكُورًا
وَجَعَلَ إِنَاثَهُمْ مَنْ جِنْسٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ إِمَّا مِنْ جَانٍّ أَوْ حَيَوَانٍ،
لَمَا حَصَلَ هَذَا الِائْتِلَافُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَزْوَاجِ،
بَلْ كَانَتْ تَحْصُلُ نَفْرَة لَوْ كَانَتِ الْأَزْوَاجُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ.

(وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً)

*الميسر:وجعل بين المرأة وزوجها محبة

(وَرَحْمَةً)

*الميسر:شفقة،

***وَهِيَ الرَّأْفَةُ،

فَإِنَّ الرَّجُلَ يُمْسِكُ الْمَرْأَةَ إِمَّـــــــا :-

1-لِمَحَبَّتِـــــــهِ لَهَا،

2-أَوْ لِرَحْمَـــــــةٍ بِهَا، بِأَنْ يَكُونَ لَهَا مِنْهُ وَلَدٌ،

3-أَوْ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ فِي الْإِنْفَاقِ،

4-أَوْ لِلْأُلْفَةِ بَيْنَهُمَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ،

○بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

فحصـــــــــل بالزوجـــــــــة:-

1-الاستمتـاع

2-واللـــــذة

3-والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم،

4-والسكـون إليها،

فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة،

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

يُعملون أفكارهم ويتدبرون آيات اللّه وينتقلون من شيء إلى شيء.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

(وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ

(و)

كذلك في

(وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ)

على كثرتكم وتباينكم مع أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة،

ومع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه

ولا لونين متشابهين من كل وجه

إلا وتجد من الفرق بين ذلك ما به يحصل التمييز.

وهذا دال على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته.

و من عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب ويفوت كثير من المقاصد والمطالب.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ)

والعَالِمُون هم:-

أهل العلم الذين يفهمون العبر ويتدبرون الآيات.

والآيات في ذلك كثيرة:-

فمن آيات خلق السماوات والأرض وما فيهما،

أن ذلك دال على عظمة سلطان اللّه وكمال اقتداره الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة،

وكمال حكمته لما فيها من الإتقان وسعة علمه،

لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه

(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)

وعموم رحمته وفضله لما في ذلك من المنافع الجليلة،

وأنه المريد الذي يختار ما يشاء لما فيها من التخصيصات والمزايا،

وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويوحد لأنه المنفرد بالخلق

فيجب أن يفرد بالعبادة،

فكل هذه أدلة عقلية نبه اللّه العقول إليها وأمرها بالتفكر واستخراج العبرة منها.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

أي: سماع تدبر وتعقل للمعاني والآيات في ذلك.

إن ذلك دليل على رحمة اللّه تعالى كما قـــــال:-

(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

وعلى تمام حكمته إذ حكمته اقتضت:-

سكون الخلق في وقتليستريحوا به ويستجموا(الليل)

وانتشارهم في وقت،لمصالحهم الدينية والدنيوية(النهار)

ولا يتم ذلك إلا بتعاقب الليل والنهار عليهم،

والمنفرد بذلك هو المستحق للعبادة.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

(وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ)

أي: ومن آياته أن ينزل عليكم المطر الذي تحيا به البلاد والعباد

ويريكم قبل نزوله مقدماته من الرعد

والبرق الذي يُخَاف([فتخافون من الصواعق])

ويُطْمَع فيـــه([أى فى المطر])

***بَعْدَمَا كَانَتْ هَامِدَةٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا شَيْءَ،

فَلَمَّا جَاءَهَا الْمَاءُ {اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الْحَجِّ: 5] .

وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ ودَلالَة وَاضِحَةٌ عَلَى الْمَعَادِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:-

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ)

دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها.

(لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

أي: لهم عقول تعقل بها ما تسمعه وتراه وتحفظه، وتستدل به على ما جعل دليلا عليه.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ
إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ
هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ
سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ
أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟
شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ
أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ

ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

(وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ)

العظيمة

(أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ)

أن قامت السماوات و الأرض و استقرتا و ثبتتا بأمره فلم تتزلزلا و لم تسقط السماء على الأرض،

*** كَقَوْلِهِ:{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ} [الْحَجِّ: 65] .

و قوله:{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا} [فَاطِرٍ: 41]

وَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ﵁ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ يَقُولُ:-

لَا وَ الَّذِي تَقُومُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ، أَيْ:-

هِيَ قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ بِأَمْرِهِ لَهَا وَ تَسْخِيرِهِ إِيَّاهَا،

(ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ)

فقدرته العظيمة التي بها أمسك السماوات و الأرض أن تزولا يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض إذا هم يخرجون

(لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا}[الْإِسْرَاءِ: 52] .

وَ قَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}[النَّازِعَاتِ: 13، 14]

وَ قَالَ:{إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ}[يس: 53]

(وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ)

الكل خلقه و مماليكه المتصرف فيهم من غير منازع و لا معاون و لا معارض

(كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ)

و كلهم قانتون لجلاله خاضعون لكماله.

(وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ)

أي: الإعادة للخلق بعد موتهم

(أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ)

***أيسر عليه

***صحيح البخاري

4974 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

وَ شَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي،

وَ لَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ،

وَ أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَ أَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ،

لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَ لَمْ يَكُنْ لِي كُفُئًا أَحَدٌ "

❍من ابتداء خلقهم و هذا بالنسبة إلى الأذهان و العقول،

فإذا كان قادرا على الابتداء الذي تقرون به كانت قدرته على الإعادة التي أهون أولى و أولى.

❍و لما ذكر من الآيات العظيمة ما به يعتبر المعتبرون

و يتذكر المؤمنون و يتبصر المهتدون ذكر الأمر العظيم و المطلب الكبير فقال:

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

*الميسر:و له سبحانه الوصف الأعلى في كل ما يوصف به، ليس كمثله شيء، و هو السميع البصير.

*** كَقَوْلِهِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشُّورَى: 11] .

❍و هو كل صفة كمال،

و الكمال من تلك الصفة و المحبة و الإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين و الذكر الجليل و العبادة منهم.

فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى و ما ترتب عليه.

❍و لهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى،

فيقولون: كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد،

و كل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى و أحرى.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

أي: له العزة الكاملة و الحكمة الواسعة،

فعزته أوجد بها المخلوقات و أظهر المأمورات،

و حكمته أتقن بها ما صنعه و أحسن فيها ما شرعه.

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

*الميسر:-

ضرب الله مثلا لكم -أيها المشركون- من أنفسكم:

هل لكم من عبيدكم وإمائكم مَن يشارككم في رزقكم،

وترون أنكم و إياهم متساوون فيه،

تخافونهم كما تخافون الأحرار الشركاء في مقاسمة أموالكم؟

إنكم لن ترضوا بذلك،

فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكًا من خلقه؟

و بمثل هذا البيان نبيّن البراهين و الحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها.

(ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ)

هذا مثل ضربه اللّه تعالى لقبح الشرك و تهجينه مثلا من أنفسكم

لا يحتاج إلى حل و ترحال و إعمال الجمال.

***تَشْهَدُونَهُ وَ تَفْهَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،

(هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ)

أي: هل أحد من عبيدكم و إمائكم الأرقاء يشارككم في رزقكم

(فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ)

و ترون أنكم و هم فيه على حد سواء.

(تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ)

أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة الذين يخاف من قسمه

و اختصاص كل شيء بحاله؟

❍ليس الأمر كذلك فإنه ليس أحد مما ملكت أيمانكم شريكا لكم فيما رزقكم اللّه تعالى.

هذا،و لستم الذين خلقتموهم و رزقتموهم و هم أيضا مماليك مثلكم،

❍فكيف ترضون أن تجعلوا للّه شريكا من خلقه و تجعلونه بمنزلته،

و عديلا له في العبادة و أنتم لا ترضون مساواة مماليككم لكم؟

❍هذا من أعجب الأشياء و من أدل شيء على:-

1-سفه من اتخذ شريكا مع اللّه

2-و أن ما اتخذه باطل مضمحل ليس مساويا للّه و لا له من العبادة شيء.

***تَخَافُونَ أَنْ يُقَاسِمُوكُمُ الْأَمْوَالَ.

قَالَ أَبُو مِجْلَز:-

إِنَّ مَمْلُوكَكَ لَا تَخَافُ أَنْ يُقَاسِمَكَ مَالَكَ،

وَ لَيْسَ لَهُ ذَاكَ كَذَلِكَ اللَّهُ لَا شريك له.
وَ الْمَعْنَى: أَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْنَفُ مِنْ ذَلِكَ،
فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْأَنْدَادَ مِنْ خَلْقِهِ. وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: -
{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ} [النَّحْل: 62]
أَيْ: مِنَ الْبَنَاتِ، حَيْثُ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا،
وَجَعَلُوهَا بَنَاتِ اللَّهِ،
وَ قَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا بُشر بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ،
يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ،
أَيُمْسِكُهُ عَلَى هَوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ،
فَهُمْ يَأْنَفُونَ مِنَ الْبَنَاتِ.
وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ،
فَنَسَبُوا إِلَيْهِ مَا لَا يَرْتَضُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَهَذَا أَغْلَظُ الْكُفْرِ
وَ هَكَذَا فِي هَذَا الْمَقَام جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ مِنْ عَبِيدِهِ وَخَلْقِهِ،
وَ أَحَدُهُمْ يَأْبَى غَايَةَ الْإِبَاءِ وَ يَأْنَفُ غَايَةَ الْأَنَفَةِ مِنْ ذَلِكَ،
أَنْ يَكُونَ عبدهُ شريكَه فِي مَالِهِ، يُسَاوِيهِ فِيهِ.
وَ لَوْ شَاءَ لَقَاسَمَهُ عَلَيْهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾

بتوضيحها بأمثلتها

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

الحقائق و يعرفون،

❍و أما من لا يعقل فلو فُصِّلَت له الآيات و بينت له البينات لم يكن له عقل يبصر به ما تبين و لا لُبٌّ يعقل به ما توضح،

فأهل العقول و الألباب هم الذين يساق إليهم الكلام و يوجه الخطاب.

❍و إذا علم من هذا المثال أن من اتخذ من دون اللّه شريكا يعبده و يتوكل عليه في أموره،

فإنه ليس معه من الحق شيء

فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل توضح له بطلانه و ظهر برهانه؟

لقد أوجب لهم ذلك اتباع الهوى

فلهذا قال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾

***فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَنْدَادَ

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾

هويت أنفسهم الناقصة التي ظهر من نقصانها ما تعلق به هواها،

أمرا يجزم العقل بفساده

و الفطر برده بغير علم دلهم عليه و لا برهان قادهم إليه.

﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾

أي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم

فإن اللّه تعالى أضلهم بظلمهم و لا طريق لهداية من أضل اللّه

لأنه ليس أحد معارضا للّه أو منازعا له في ملكه.

(وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)

ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، و تنقطع بهم الوصل و الأسباب.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

○يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال و إقامة دينه فقـــــال:-

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ)

الاسلام دين الفطرة و الوحدانية 30-32

أي: انصبه و وجهه إلى الدين الذي هـــــو:-

الإسلام و الإيمان و الإحسان بأن تتوجه بقلبك و قصدك و بدنك إلى:-

إقامة شرائع الدين الظاهرة كـــــ:-

الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و نحوها.

و شرائعه الباطنة كـــــ:-

المحبة و الخوف و الرجاء و الإنابة،

و الإحسان في الشرائع الظاهرة و الباطنة بأن:-

تعبد اللّه فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

*** كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: -

{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الْأَعْرَافِ: 172]

*** صحيح مسلم

(2865) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:-

أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا،

كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ،

وَ إِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،

وَ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،

وَ أَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا،

❍و خص اللّه إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب

و يترتب على الأمرين سَعْيُ البدن

و لهذا قال: (لِلدِّينِ حَنِيفًا)

أي: مقبلا على اللّه في ذلك معرضا عما سواه.

و هذا الأمر الذي أمرناك به هو

(فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ)

و وضع في عقولهم حسنها و استقباح غيرها،

فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة و الباطنة قد وضع اللّه في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها،

فوضع في قلوبهم محبة الحق و إيثار الحق و هذا حقيقة الفطرة.

❍و من خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها

كما قال النبي ﷺ:

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

(لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ)

❍لا أحد يبدل خلق اللّه فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه اللّه

***مَعْنَاهُ لَا تُبَدِّلُوا خَلْقَ اللَّهِ،

فَتُغَيِّرُوا النَّاسَ عَنْ فِطْرَتِهِمُ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

فَيَكُونُ خَبَرًا بِمَعْنَى الطَّلَبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} [آلِ عِمْرَانَ: 97]

***وَ قَالَ آخَرُونَ: هُوَ خَبَرٌ عَلَى بَابِهِ،

وَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَعَالَى سَاوَى بَيْنَ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ فِي الْفِطْرَةِ عَلَى الْجِبِلَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ،

لَا يُولَدُ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ،

وَ لَا تَفَاوُتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ

وَ قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَوْلُهُ: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}:-لِدِينِ اللَّهِ،

*** صحيح البخاري

4775 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ،
فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ،
كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ،
هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»،
ثُمَّ يَقُولُ:{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ}[الروم: 30]

(ذَٰلِكَ)

الذي أمرنا به

(ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ)

أي: الطريق المستقيم الموصل إلى اللّه و إلى كرامته،

فإن من أقام وجهه للدين حنيفا

فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه و طرقه

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

فلا يتعرفون الدين القيم و إن عرفوه لم يسلكوه.

***فَلِهَذَا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ، فَهُمْ عَنْهُ نَاكِبُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يُوسُفَ: 103]

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الْأَنْعَامِ: 116] .

(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ)

***راجعين اليه

(وَٱتَّقُوهُ)

***خافوه و راقبوه

❍و هذا تفسير لإقامة الوجه للدين،

فإن الإنابة إنابة القلب و انجذاب دواعيه لمراضي اللّه تعالى.

و يلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب

فشمل ذلك العبادات الظاهرة و الباطنة،

و لا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة و الباطنة

فلذلك قال: (وَٱتَّقُوهُ)

فهذا يشمل فعل المأمورات و ترك المنهيات.

(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

و خص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة و التقوى لقوله تعالى:

(وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

فهذا إعانتها على التقوى.

ثم قال: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

فهذا حثها على الإنابة.

و خص من المنهيات أصلها و الذي لا يقبل معه عمل و هو الشرك

فقال: (وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)

لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه.

ثم ذكر حالة المشركين مهجنا لها و مقبحا

فقال: (مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ)

مع أن الدين واحد و هو إخلاص العبادة للّه وحده

و هؤلاء المشركون فرقوه،

منهم من يعبد الأوثان و الأصنام.

و منهم من يعبد الشمس و القمر،

و منهم من يعبد الأولياء و الصالحين

و منهم يهود و منهم نصارى.

و لهذا قال: (وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ)

أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت

و تعصبت على نصر ما معها من الباطل و منابذة غيرهم و محاربتهم.

(كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ)

من العلوم المخالفة لعلوم الرسل

(فَرِحُونَ)

به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق و أن غيرهم على باطل،

و في هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم و تفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق و باطل،

فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق
بل الدين واحد و الرسول واحد و الإله واحد.
و أكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء و الأئمة، و الأخوة الإيمانية قد عقدها اللّه و ربطها أتم ربط،
❍فما بال ذلك كله يُلْغَى و يُبْنَى التفرق و الشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا،
و يتميز بها بعضهم عن بعض؟
❍فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان و أعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟
❍و هل السعي في جمع كلمتهم و إزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل،
إلا من أفضل الجهاد في سبيل اللّه و أفضل الأعمال المقربة إلى اللّه؟
❍و لما أمر تعالى بالإنابة إليه – و كان المأمور بها هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حَالَي العسر و اليسر و السعة و الضيق– ذكر الإنابة الاضطرارية التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكربه،
فإذا زال عنه الضيق نبذها وراء ظهره و هذه غير نافعة فقال:

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾
أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ
رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾
فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ
ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا
يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ
﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾
ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ
لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾
أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

طبيعة الناس في السراء و الضراء 33-37

(وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ)

مرض أو خوف من هلاك و نحوه.

(دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ)

و نسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا اللّه.

(ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً)

شفاهم من مرضهم و آمنهم من خوفهم،

(إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم)

ينقضون تلك الإنابة التي صدرت منهم

(بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)

به من لا دفع عنهم و لا أغنى، و لا أفقر و لا أغنى،

و كل هذا كفر بما آتاهم اللّه

و مَنَّ به عليهم حيث أنجاهم

و أنقذهم من الشدة و أزال عنهم المشقة،

فهلا قابلوا هذه النعمة الجليلة بالشكر و الدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟.

(لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ)

*** هِيَ لَامُ الْعَاقِبَةِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ،
وَ لَامُ التَّعْلِيلِ عِنْدَ آخَرِينَ،
وَ لَكِنَّهَا تَعْلِيلٌ لِتَقْيِيضِ اللَّهِ لَهُمْ ذَلِكَ.

(فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)

***قَالَ بَعْضُهُمْ:وَ اللَّهِ لَوْ تَوَعَّدَنِي حَارِسُ دَرْبٍ لَخِفْتُ مِنْهُ،
فَكَيْفَ وَ الْمُتَوَعِّدُ هَاهُنَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ.

(أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا)

أي: حجة ظاهرة

(فَهُوَ)

أي: ذلك السلطان،

(يَتَكَلَّمُ)

***ينطق

(بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ؟)

***وَ هَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

❍و يقول لهم: اثبتوا على شرككم و استمروا على شككم

فإن ما أنتم عليه هو الحق و ما دعتكم الرسل إليه باطل.

فهل ذلك السلطان موجود عندهم حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟

أم البراهين العقلية و السمعية و الكتب السماوية و الرسل الكرام و سادات الأنام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك

و حذروا من سلوك طرقه الموصلة إليه

و حكموا بفساد عقل و دين من ارتكبه؟.

فشرك هؤلاء بغير حجة و لا برهان

و إنما هو أهواء النفوس، و نزغات الشيطان.

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

(وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ)

يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس في حالي الرخاء و الشدة أنهـــــم:-

❍إذا أذاقهم اللّه منه رحمة من صحة و غنى و نصر و نحو ذلك

فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر و تبجح بنعمة اللّه.

(وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ)

أي: حال تسوؤهم

و ذلك (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)

من المعاصي.

(إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ)

ييأسون من زوال ذلك الفقر و المرض و نحوه.

و هذا جهل منهم و عدم معرفة.

***هَذَا إِنْكَارٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، إِلَّا مَنْ عَصَمه اللَّهُ وَ وَفَّقَهُ

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ بَطر وَ قَالَ:

{ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هُودٍ: 10]

أَيْ: يَفْرَحُ فِي نَفْسِهِ وَيَفْخَرُ عَلَى غَيْرِهِ،

وَ إِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ قَنط وَأَيِسَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرٌ بِالْكُلِّيَّةِ؛

قَالَ اللَّهُ: {إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [هُودٍ: 11]

أَيْ: صَبَرُوا فِي الضَّرَّاءِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الرَّخَاءِ،

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ:

*** صحيح مسلم :-

(2999) عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،

وَ لَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،

وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ)

فالقنوط بعد ما علم أن الخير و الشر من اللّه

و الرزق سعته و ضيقه من تقديره ضائع ليس له محل.

فلا تنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب بل اجعل نظرك لمسببها

و لهذا قال: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

فهم الذين يعتبرون بسط اللّه لمن يشاء و قبضه،

و يعرفون بذلك حكمة اللّه و رحمته و جوده

و جذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩

(فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ)

الحض على آداء الحقوق و النهى عن الربا 38-39

❍فأعط القريب منك – على حسب قربه و حاجته– حقه الذي أوجبه الشارع

❍أو حض عليه مـــــــــن :–

النفقة الواجبة و الصدقة و الهدية و البر و السلام و الإكرام

و العفو عن زلته و المسامحة عن هفوته.

(وَٱلۡمِسۡكِينَ)

Oو كذلك آت المسكين الذي أسكنه الفقر و الحاجة ما تزيل به حاجته و تدفع به ضرورته من إطعامه و سقيه و كسوته.

(وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ)

الغريب المنقطع به في غير بلده الذي في مظنة شدة الحاجة

لأنه لا مال معه و لا كسب قد دبر نفسه به في سفره

بخلاف الذي في بلده، فإنه و إن لم يكن له مال

و لكن لا بد – في الغالب– أن يكون في حرفة أو صناعة و نحوها تسد حاجته،

و لهذا جعل اللّه في الزكاة حصة للمسكين و ابن السبيل.

(ذَٰلِكَ)

أي: إيتاء ذي القربى و المسكين و ابن السبيل

(خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ)

بذلك العمل

(وَجۡهَ ٱللَّهِۖ)

***النَّظَرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ هُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى،

❍أي: خير غزير و ثواب كثير لأنه من أفضل الأعمال الصالحة و النفع المتعدي الذي وافق محله المقرون به الإخلاص.

فإن لم يرد به وجه اللّه لم يكن خيرا لِلْمُعْطِي و إن كان خيرا و نفعا لِلْمُعْطى كما قال تعالى:(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)

مفهومها أن هذه المثبتات خير لنفعها المتعدي

و لكن من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة اللّه فسوف نؤتيه أجرا عظيما.

و قوله: (وَأُوْلَـٰٓئِكَ)

الذين عملوا هذه الأعمال و غيرها لوجه اللّه

(هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)

***فِي الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ .

❍الفائزون بثواب اللّه الناجون من عقابه.

❍و لما ذكر العمل الذي يقصد به وجهه من النفقات ذكر العمل الذي يقصد به مقصد دنيوي فقال:

(وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ)

أي:ما أعطيتم من أموالكم الزائدة عن حوائجكم و قصدكم بذلك أن يربو

أي: يزيد في أموالكم بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر منها،

(فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ)

فهذا العمل لا يربو أجره عند اللّه لكونه معدوم الشرط الذي هو الإخلاص.

و مثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه و الرياء عند الناس

فهذا كله لا يربو عند اللّه.

(وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ)

أي: مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة

و يطهر أموالكم من البخل بها و يزيد في دفع حاجة الْمُعْطَى.

(تُرِيدُونَ)

بذلك

(وَجۡهَ ٱللَّهِ)

***النَّظَرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ هُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى،

(فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ)

أي: المضاعف لهم الأجر الذين تربو نفقاتهم عند اللّه

و يربيها اللّه لهم حتى تكون شيئا كثيرا.

❍و دل قوله: (وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ)

أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق أو مع دَيْنٍ عليه لم يقضه

و يقدم عليه الصدقة أن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليه العبد

و يرد تصرفه شرعا كما قال تعالى في الذي يمـــــــدح:-

(الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى)

فليس مجرد إيتاء المال خيرا حتى يكون بهذه الصفة و هـــــو:-

أن يكون على وجه يتزكى به المؤتي.

***مَنْ أَعْطَى عَطِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ النَّاسُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَهْدَى لَهُمْ،
فَهَذَا لَا ثَوَابَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ -بِهَذَا فَسَّرَهُ غير واحد
وَ هَذَا الصَّنِيعُ مُبَاحٌ وَ إِنْ كَانَ لَا ثَوَابَ فِيهِ
إِلَّا أَنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺخَاصَّةً، قَالَهُ الضَّحَّاكُ
وَ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ: {وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [الْمُدَّثِّرِ: 6]
أَيْ:لَا تُعْطِ الْعَطَاءَ تُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْهُ.
***وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرِّبَا رِبَاءَانِ،
فَرِبًا لَا يَصْحُ يَعْنِي: رِبَا الْبَيْعِ؟
وَ رِبًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَ هُوَ هَدِيَّةُ الرَّجُلِ يُرِيدُ فَضْلَهَا وَ أَضْعَافَهَا.
ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} .
وَ إِنَّمَا الثَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الزَّكَاةِ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:
{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}
أَيِ: الَّذِينَ يُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمُ الثَّوَابَ وَ الْجَزَاءَ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ:
***صحيح البخاري
1410 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ،
وَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ،
وَ إِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ،

ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ» ( )

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم

مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ) من أدلة التوحيد و نتائج عمل البشر 40-42

تعالى أنه وحده المنفرد بخلقكم و رزقكم و إماتتكم و إحيائكم،

***هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عُرْيَانًا

لَا عِلْمَ لَهُ

وَ لَا سَمْعَ وَ لَا بَصَرَ وَ لَا قُوَى،

ثُمَّ يَرْزُقُهُ جَمِيعَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ،

وَ الرِّيَاشَ وَ اللِّبَاسَ وَ الْمَالَ وَ الْأَمْلَاكَ وَ الْمَكَاسِبَ

(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ)

***بعد هذه الحياة

(ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ)

***يوم القيامة

(هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ)

(بعدل) بوزن أو بقيمة. (طيب) حلال. (يربيها) ينميها و يضاعف أجرها.

(لصاحبها) الذي أنفقها. (فلوه) مهره. وهو الصغير من الخيل.

(مثل الجبل) يصبح ثوابها كثواب من تصدق بمقدار الجبل من المال]

و أنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك اللّه في شيء من هذه الأشياء.

❍فكيف يشركون بمن انفرد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟!

(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

فسبحانه و تعالى و تقدس و تنزه و علا عن شركهم

(أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مساوٍ، أَوْ وَلَدٌ أَوْ وَالِدٌ)

فلا يضره ذلك و إنما وبالهم عليهم.

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ

لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

(ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ)

يخبر أي: استعلن الفساد في البر و البحر أي:-

فساد معايشهم و نقصها و حلول الآفات بها،

و في أنفسهم من الأمراض و الوباء و غير ذلك،

***يَعْنِي: انْقِطَاعَ الْمَطَرِ عَنِ الْبَرِّ يُعْقِبُهُ الْقَحْطُ،

وَ عَنِ الْبَحْرِ يعنى دَوَابُّهُ.

***بَانَ النَّقْصُ فِي الثِّمَارِ وَ الزُّرُوعِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي.

وَ السَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الْحُدُودَ إِذَا أُقِيمَتْ، انْكَفَّ النَّاسُ -أَوْ أَكْثَرُهُمْ، أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ -عَنْ تَعَاطِي الْمُحَرَّمَاتِ،

وَ إِذَا ارْتُكِبَتِ الْمَعَاصِي كَانَ سَبَبًا فِي مِحَاقِ الْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ؛
وَ لِهَذَا إِذَا نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فِي آخِرِ الزَّمَانِ
فَحَكَمَ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، مِـــــــنْ :-
قَتْلِ الْخِنْزِيرِ وَ كَسْرِ الصَّلِيبِ وَ وَضْعِ الْجِزْيَةِ،
وَ هُوَ تَرْكُهَا -فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ،
فَإِذَا أَهْلَكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الدَّجَّالَ وَ أَتْبَاعَهُ وَ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ،
قِيلَ لِلْأَرْضِ: أَخْرِجِي بَرَكَاتِكِ.
فَيَأْكُلُ مِنَ الرُّمَّانَةِ الفئَام مِنَ النَّاسِ،
وَ يَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا،
وَ يَكْفِي لَبَنُ اللِّقْحَةِ الجماعةَ مِنَ النَّاسِ.
وَ مَا ذَاكَ إِلَّا بِبَرَكَةِ تَنْفِيذِ شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَكُلَّمَا أُقِيمَ الْعَدْلُ كَثُرَتِ الْبَرَكَاتُ وَ الْخَيْرُ؛
وَ لِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: -
*** صحيح البخاري
6512 - عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: -
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ،
فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا المُسْتَرِيحُ وَ المُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟
قَالَ: «العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَ أَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ،
وَ العَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَ البِلاَدُ، وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ»

(بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ)

و ذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها.

هذه المذكورة

(لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟)

أي: ليعلموا أنه المُجازي على الأعمال

فعجل لهم نموذجا من جزاء أعمالهم في الدنيا

***يَبْتَلِيهِمْ بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ،
اخْتِبَارًا مِنْهُ، وَ مُجَازَاةً عَلَى صَنِيعِهِمْ،

(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

عَنِ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الْأَعْرَافِ: 168] .

❍عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت،

فتصلح أحوالهم و يستقيم أمرهم.

فسبحان من أنعم ببلائه و تفضل بعقوبته

و إلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.

◄ ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ الروم: ٤١.

كنتُ أقرأ الآية الآتية وأسمعها، فتمر على لساني وأذني مرور الكرام:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٢]، حتى تفكرتُ فيها يومًا، فقلتُ:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ ﴾ كيف ظهر ربَّاهُ؟ فأتتني الإجابة ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾.

وماذا بعدُ؟ ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ ، قلتُ: فقط ﴿بَعْضَ ﴾ !! ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ !!

فكيف بنا إذا أذاقنا جزاء كل ما كسبت أيدينا؟

ثم جاء خِتَامُ الآية ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، هل في جوفِ الابتلاءات والمحنِ التي نستحقها؛ رحمةٌ من الله لكن نرتدعَ ونتوب؟

ما ألطفكَ وما أحلمكَ ربنا، وما أرحمكَ بعبادك الضعفاء، اللهم خُذْ بنواصينا إليك؛ أخذ الكرام عليك.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ
﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ
فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ
كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

(قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ)

و الأمر بالسير في الأرض يدخل فيه السير بـــــالأبدان

و السير في القلـــــوب للنظر و التأمل بعواقب المتقدمين.

(كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ)

تجدون عاقبتهم شر العواقب و مآلهم شر مآل:-

1-عـــــذاب استأصلهم

2-و ذم

3-و لعـــــن من خلق اللّه يتبعهم

4- و خـــــزي متواصل،

فاحذروا أن تفعلوا فعالهم يُحْذَى بكم حذوهم

فإن عدل اللّه و حكمته في كل زمان و مكان.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

(فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّـمِ)

أقبل بقلبك و توجه بوجهك و اسع ببدنك

لإقامة الدين القيم المستقيم،

فـــــــــــ:–

1–نفذ أوامره و نواهيه بجد و اجتهاد

2–و قم بوظائفه الظاهرة و الباطنة.

3–و بادر زمانك و حياتك و شبابك،

(مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ)

و هو يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده

و لا يرجأ العاملون أن يستأنفوا العمل

بل فرغ من الأعمال لم يبق إلا جزاء العمال.

(يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ)

أي: يتفرقون عن ذلك اليوم و يصدرون أشتاتا متفاوتين (لِيُرَوْا أعمالهم)

*** فَفِرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ

(مَن كَفَرَ)

منهم

(فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ)

و يعاقب هو بنفسه لا تزر وازرة وزر أخرى،

(وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا)

\

(فَلِأَنفُسِهِمْ)

لا لغيرهم

(يَمْهَدُونَ)

أي: يهيئون و لأنفسهم يعمرون آخرتهم

و يستعدون للفوز بمنازلها و غرفاتها،

(لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

و مع ذلك جزاؤهم ليس مقصورا على أعمالهم بل يجزيهم اللّه

(مِن فَضْلِهِۦٓ)

الممدود و كرمه غير المحدود ما لا تبلغه أعمالهم.

❍و ذلك لأنه أحبهم و إذا أحب اللّه عبدا صب عليه الإحسان صبا،

و أجزل له العطايا الفاخرة و أنعم عليه بالنعم الظاهرة و الباطنة.

و هذا بخلاف الكافرين

فإن اللّه لما أبغضهم و مقتهم عاقبهم و عذبهم و لم يزدهم كما زاد من قبلهم

فلهذا قال: (إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ)

***وَ مَعَ هَذَا هُوَ الْعَادِلُ فِيهِمْ، الَّذِي لَا يَجُورُ.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

(وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ)

و من الأدلة الدالة على رحمته و بعثه الموتى و أنه الإله المعبود و الملك المحمود،

(أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ)

أمام المطر

(مُبَشِّرَٰتٍ)

بإثارتها للسحاب ثم جمعها فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله.

(وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ)

فينزل عليكم من رحمته مطـــــرا:-

تحيا به البـــــلاد و العبـــــاد،

و تذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمتـــــه هي:-

المنقذة للعباد و الجالبة لأرزاقهم،

فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة الفاتحة لخزائن الرحمة.

(وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ)

في البحر

(بِأَمْرِهِۦ)

القدري

(وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ)

بالتصرف في معايشكم و مصالحكم.

***فِي التِّجَارَاتِ وَ الْمَعَايِشِ، وَ السَّيْرِ مِنْ إِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ، وَ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

من سخر لكم الأسباب و سير لكم الأمور.

فهذا المقصود من النعم أن:-

تقابل بشكر اللّه تعالى لـــــ:- يـــــزيدكم اللّه منها و يبقيها عليكم.

و أما مقابلة النعم بالكفر و المعاصي :-

فهذه حال من بدَّل نعمة اللّه كفرا و نعمته محنة

و هو معرض لها للزوال و الانتقال منه إلى غيره.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

أي: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ)

في الأمم السابقين

(رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ)

حين جحدوا توحيد اللّه و كذبوا بالحق

فجاءتهم رسلهم يدعونهم إلى التوحيد و الإخلاص و التصديق بالحق

و بطلان ما هم عليه من الكفر و الضلال،

(فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

و جاءوهم بالبينات و الأدلة على ذلك فلم يؤمنوا و لم يزولوا عن غيهم،

(فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ)

و نصرنا المؤمنين أتباع الرسل.

(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا و جعلناه من جملة الحقوق المتعينة

و وعدناهم به فلا بد من وقوعه.

❍فأنتم أيها المكذبون لمحمد ﷺإن بقيتم على تكذيبكم حلَّت بكم العقوبة

و نصرناه عليكم.

*** قَوْلِهِ تَعَالَى:{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}[الْأَنْعَامِ: 54].

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾

فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ

إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠

يخبر(ٱللَّهُ)

تعالى عن كمال قدرته و تمام نعمته أنه:-

(ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا)

من الأرض،

(فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ)

أي: يمده و يوسعه

(كَيۡفَ يَشَآءُ)

أي: على أي حالة أرادها من ذلك

***يَمُدّه فيكثّرهُ و يُنَمّيه، وَ يَجْعَلُ مِنَ الْقَلِيلِ كَثِيراً،
يُنْشِئُ سَحَابَةً فَتُرَى فِي رَأْيِ الْعَيْنِ مِثْلَ التُّرْسِ،
ثُمَّ يَبْسُطُهَا حَتَّى تَمْلَأَ أَرْجَاءَ الْأُفُقِ.
وَ تَارَةً يَأْتِي السَّحَابُ مِنْ نَحْوِ الْبَحْرِ ثِقَالًا مَمْلُوءَةً مَاءً،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الْأَعْرَافِ: 57]

وَ كَذَلِكَ قَالَ هَاهُنَا: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا}

(وَيَجْعَلُهُۥ)

أي: ذلك السحاب الواسع

(كِسَفًا)

أي: سحابا ثخينا قد طبق بعضه فوق بعض.

***قطعا

***متراكما

(فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ)

أي: السحاب نقطا صغارا متفرقة، لا تنزل جميعا فتفسد ما أتت عليه.

(فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ)

بذلك المطر

(مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)

يبشر بعضهم بعضا بنزوله

و ذلك لشدة حاجتهم و ضرورتهم إليه

فلهذا قال: (وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ)

***ذلك الانزال

(أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ)

أي: آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه،

أي: فلما نزل في تلك الحال صار له موقع عظيم عندهم و فرح و استبشار.

*** وقد اختلف النحاة في قوله:

{ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ}

فقال ابن جرير: هو تَأْكِيدٌ. وَ حَكَاهُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَ قَالَ آخَرُونَ: (وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم)

عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ،

{مِّن قَبْلِهِۦ }

أَيِ: الْإِنْزَالِ

{لَمُبْلِسِينَ }

***وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ دَلَالَةِ التَّأْسِيسِ،

وَ يَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ قَبْلَ نُزُولِهِ،

وَ مِنْ قَبْلِهِ -أَيْضًا -قَدْ فَاتَ عِنْدَهُمْ نُزُولُهُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ،

فَتَرَقَّبُوهُ فِي إِبَّانِهِ فَتَأَخَّرَ، فَمَضَتْ مُدَّةٌ فَتَرَقَّبُوهُ فَتَأَخَّرَ،

ثُمَّ جَاءَهُمْ بَغْتَةً بَعْدَ الْإِيَاسِ مِنْهُ وَ الْقُنُوطِ،

فَبَعْدَ مَا كَانَتْ أَرْضُهُمْ مُقَشْعَرَةً هَامِدَةً أَصْبَحَتْ وَ قَدِ اهتزت و ربت و أنبتت من كل زوج بهيج

وَ لِهَذَا قَالَ: { فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ }

يَعْنِي: الْمَطَرَ

(ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ)

فاهتزت و ربت و أنبتت من كل زوج كريم.

(إِنَّ ذَٰلِكَ)

الذي أحيا الأرض بعد موتها

(لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

فقدرته تعالى لا يتعاصى عليها شيء

و إن تعاصى على قدر خلقه و دق عن أفهامهم و حارت فيه عقولهم.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ
ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا
لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾
فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣

(وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا)

يخبر تعالى عن حالة الخلق

و أنهم مع هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها

و نشر رحمة اللّه تعالى لو أرسلنا على هذا النبات الناشئ عن المطر

و على زروعهم ريحا مضرة متلفة أو منقصة،

(فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا)

قد تداعى إلى التلف

(لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ)

فينسون النعم الماضية و يبادرون إلى الكفر.

و هؤلاء لا ينفع فيهم وعظ و لا زجر

*** كما قال:{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}

[الْوَاقِعَةِ: 63 -67] .

(فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ)

و بالأولى

(إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ)

فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد و السماع النافع

كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت الحسي.

(وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ)

لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم قابلية له.

(إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ)

فهؤلاء الذين ينفع فيهم إسماع الهدى

المؤمنـــــون بآياتنا بقلوبهم

المنقـــــادون لأوامرنا المسلمون لنا،

لأن معهم الداعي القوي لقبول النصائح و المواعظ

و هو استعدادهم للإيمان بكل آية من آيات اللّه

و استعدادهم لتنفيذ ما يقدرون عليه من أوامر اللّه و نواهيه.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [الْأَنْعَامِ: 36] .

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالى عن سعة علمه و عظيم اقتداره و كمال حكمته:-

ابتدأ خلق الآدميين من ضعف و هو الأطوار الأول مـــــن :-

خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيوانا في الأرحام إلى أن ولد،

و هو في سن الطفولية:-

و هو إذ ذاك في غاية الضعف و عدم القوة و القدرة.

ثم ما زال اللّه يزيد في قوته شيئا فشيئا

حتى بلغ سن الشباب :-

و استوت قوته و كملت قواه الظاهرة و الباطنة،

ثم انتقل من هذا الطور و رجع إلى الضعف و الشيبة و الهرم.

(يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ)

بحسب حكمته.

و من حكمتـــــــه:-

1-أن يـــــري العبد ضعفه

2-و أن قـــــوته محفوفة بضعفين

3-و أنه ليس له من نفسه إلا النقص،

4-و لولا تقوية اللّه له لما وصل إلى قوة و قدرة

5-و لو استمرت قوته في الزيادة لطغى و بغى و عتا.

6-و ليعلم العباد كمال قدرة اللّه التي لا تزال مستمرة يخلق بها الأشياء

و يدبر بها الأمور

و لا يلحقها إعياء و لا ضعف و لا نقص بوجه من الوجوه.

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

أحوال الناس يوم القيامة 55-57

(وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ)

يخبر تعالى عن يوم القيامة و سرعة مجيئه و أنه إذا قامت الساعة

(يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ)

باللّه أنهم

(مَا لَبِثُوا۟)

في الدنيا

(غَيْرَ سَاعَةٍ)

و ذلك اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر و استقصار لمدة الدنيا.

و لما كان قولهم كذبا لا حقيقة له قال تعالى:

(كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ)

*الميسر:كما كانوا يكذبون في الدنيا،

و ينكرون الحق الذي جاءت به الرسل.

أي: ما زالوا – و هم في الدنيا– يؤفكون عن الحقائق و يأتفكون الكذب، ففي الدنيا كذَّبوا الحق الذي جاءتهم به المرسلون،

و في الآخرة أنكروا الأمر المحسوس و هو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح و العبد يبعث على ما مات عليه.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ)

أي: مَنَّ اللّه عليهم بهما و صارا وصفا لهم العلم بالحق و الإيمان المستلزم إيثار الحق،

و إذا كانوا عالمين بالحق مؤثرين له لزم أن يكون قولهم مطابقا للواقع مناسبا لأحوالهم.

فلهذا قالوا الحق: (لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ)

أي: في قضائه و قدره، الذي كتبه اللّه عليكم و في حكمه

*****في كتاب الاعمال**

(إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ)

أي: عمرتم عُمْرًا يتذكر فيه المتذكر

و يتدبر فيه المتدبر و يعتبر فيه المعتبر

حتى صار البعث و وصلتم إلى هذه الحال.

(فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)

فلذلك أنكرتموه في الدنيا و أنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتا

تتمكنون فيه من الإنابة و التوبة،

فلم يزل الجهل شعاركم و آثاره من التكذيب و الخسار دثاركم.

(فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ)

***لَا يَنْفَعُهُمْ اعْتِذَارُهُمْ عَمَّا فَعَلُوا

❍فإن كذبوا و زعموا أنهم ما قامت عليهم الحجة أو ما تمكنوا من الإيمان:-

ظهر كذبهم بشهادة أهل العلم و الإيمان

و شهادة جلودهم و أيديهم و أرجلهم،

و إن طلبوا الإعذار و أنهم يردون و لا يعودون لما نُهوا عنه لم يُمَكَّنُوا

فإنه فات وقت الإعذار فلا تقبل معذرتهم،

(وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)

أي: يزال عتبهم و العتاب عنهم.

***وَ لَا هُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}[فُصِّلَتْ: 24] .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ

وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠

(وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا)

موقف الكفار من الآيات و حض النبى ﷺ على الصبر58-60

أي: لأجل عنايتنا و رحمتنا و لطفنا و حسن تعليمنا

(لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ)

❍ تتضح به الحقائق و تعرف به الأمور و تنقطع به الحجة

و هذا عام في الأمثال التي يضربها اللّه في تقريب الأمور المعقولة بالمحسوسة.

❍ و في الإخبار بما سيكون و جلاء حقيقته حتى كأنه وقع.

و منه في هذا الموضع ذكر اللّه تعالى ما يكون يوم القيامة

و حالة المجرمين فيه و شدة أسفهم

و أنه لا يقبل منهم عذر و لا عتاب.

و لكن أبى الظالمون الكافرون إلا معاندة الحق الواضح

و لهذا قال: (وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ)

أي: أي آية تدل على صحة ما جئت به

(لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ)

أي: قالوا للحق: إنه باطل.

و هذا من كفرهم و جراءتهم و طَبْعِ اللّه على قلوبهم و جهلهم المفرط

***لَوْ رَأَوْا أَيَّ آيَةٍ كَانَتْ، سَوَاءً كَانَتْ بِاقْتِرَاحِهِمْ أَوْ غَيْرِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا،

وَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا سِحْرٌ وَ بَاطِلٌ، كَمَا قَالُوا فِي انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَ نَحْوِهِ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يُونُسَ: 96، 97]

و لهذا قال: (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)
فلا يدخلها خير و لا تدرك الأشياء على حقيقتها
بل ترى الحق باطلا و الباطل حقا.

(فَٱصْبِرْ)
على ما أمرت به و على دعوتهم إلى اللّه،
و لو رأيت منهم إعراضا فلا يصدنك ذلك.

(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ)
أي: لا شك فيه و هذا مما يعين على الصبر
فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع
بل سيجده كاملا هان عليه ما يلقاه من المكاره
و يسر عليه كل عسير و استقل من عمله كل كثير.

(وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)
***بَلِ اثْبُتْ عَلَى مَا بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ، فَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ،
وَ لَا تَعْدِلْ عَنْهُ وَ لَيْسَ فِيمَا سِوَاهُ هُدًى يُتَّبَعُ، بَلِ الْحَقُّ كُلُّهُ مُنْحَصِرٌ فِيهِ.
أي: قد ضعف إيمانهم و قل يقينهم

فخفت لذلك أحلامهم و قل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء
فإنك إن لم تجعلهم منك على بال و تحذر منهم
و إلا استخفوك و حملوك على عدم الثبات على الأوامر و النواهي،
و النفس تساعدهم على هذا و تطلب التشبه و الموافقة
و هذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر،
و كل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه.
فالأول بمنزلة اللب و الآخر بمنزلة القشور فاللّه المستعان.

سورة لقمان-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ
ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ
مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ
وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ
وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾

تفسير سورة لقمان و هى مكية

سورة لقمان-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾

ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥

مهمة لقمان و صفات المحسن و جزاؤه و المسيء 1-9

(الٓمٓ)

يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى

(تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ)

أي: آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير.

من إحكامهـــــا:-

1-أنها جاءت بأجل الألفاظ و أفصحها، و أبينها،

(((الدالة على أجل المعاني و أحسنها)))

2-أنها محفوظة من التغيير و التبديل، و الزيادة و النقص، و التحريف.

3-أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة و اللاحقة، و الأمور الغيبية كلها،

مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية،

و لم يخبر بخلافها، نبي من الأنبياء،

و لم يأت و لن يأتي علم محسوس و لا معقول صحيح، يناقض ما دلت عليه

4-أنها ما أمرت بشيء، إلا و هو خالص المصلحة، أو راجحها،

و لا نهت عن شيء، إلا و هو خالص المفسدة أو راجحها

و كثيرا ما يجمع بين الأمر بالشيء،

مع ذكر حكمته فائدته، و النهي عن الشيء، مع ذكر مضرته.

5–أنها جمعت بين الترغيب و الترهيب، و الوعظ البليغ،
الذي تعتدل به النفوس الخيرة، و تحتكم، فتعمل بالحزم.
6–أنك تجد آياته المتكررة، كالقصص، و الأحكام و نحوها،
قد اتفقت كلها و تواطأت، فليس فيها تناقض، و لا اختلاف.
❍فكلما ازداد بها البصير تدبرا، و أعمل فيها العقل تفكرا،
انبهر عقله، و ذهل لبه من التوافق و التواطؤ،
و جزم جزما لا يمترى فيه، أنه تنزيل من حكيم حميد.
❍و لكن – مع أنه حكيم – يدعو إلى كل خلق كريم،
و ينهى عن كل خلق لئيم، أكثر الناس محرومون الاهتداء به،
معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا من وفقه اللّه تعالى و عصمه،
و هم المحسنون في عبادة ربهم و المحسنون إلى الخلق.

فإنه (هُدًى)
لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، و يحذرهم من طرق الجحيم،
(وَرَحْمَةً)
لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا و الآخرة، و الخير الكثير،
و الثواب الجزيل، و الفرح و السرور، و يندفع عنهم الضلال و الشقاء.

(ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)
❍ثم وصف المحسنين بالعلم التام:–

و هو اليقين الموجب للعمل

و الخوف من عقاب اللّه، فيتركون معاصيه،

و وصفهم بالعمل،

و خص من العمل، عملين فاضلين:-

○الصلاة المشتملة على:-

1-الإخـــــلاص،

2-و مناجاة اللّه تعالى،

3-و التعبد العام للقلب و اللسان، و الجوارح المعينة، على سائر الأعمال،

○و الزكـــــاة التي:-

1-تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة،

2-و تنفع أخاه المسلم، و تسد حاجته،

و يبين بها أن العبد يؤثر محبة اللّه على محبته للمال،

فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، و هو طلب مرضاة اللّه.

فـــــ(أُوْلَٰٓئِكَ)

هم المحسنون الجامعون بين العلم التام، و العمل

(عَلَىٰ هُدٗى)

أي: عظيم كما يفيده التنكير، و ذلك الهدى حاصل لهم، و واصل إليهم

(مِّن رَّبِّهِمۡۖ)

الذي لم يزل يربيهم بالنعم؛ و يدفع عنهم النقم.

و هذا الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه،

و هو أفضل أنواع التربية.

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)

الذين أدركوا رضا ربهم، و ثوابه الدنيوي و الأخروي،

و سلموا من سخطه و عقابه،

و ذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها.

❍و لما ذكر تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه،

ذكر من أعرض عنه، و لم يرفع به رأسا،

و أنه عوقب على ذلك، بأن تعوض عنه كل باطل من القول،

فترك أعلى الأقوال، و أحسن الحديث،

و استبدل به أسفل قول و أقبحه، فلذلك قال:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾

***لَمَّا ذَكَّرَ تَعَالَى حَالَ السُّعَدَاءِ،
وَ هُمُ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ يَنْتَفِعُونَ بِسَمَاعِهِ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزُّمَر: 23]
عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ، الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الِانْتِفَاعِ بِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ،
وَ أَقْبَلُوا عَلَى اسْتِمَاعِ الْمَزَامِيرِ وَ الْغَنَاءِ بِالْأَلْحَانِ وَ آلَاتِ الطَّرَبِ،
كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ}
قَالَ: هُوَ -وَ اللَّهِ- الْغِنَاءُ.
***وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أُنْزِلَتْ هذه الآية:
{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ}
فِي الْغِنَاءِ وَ الْمَزَامِيرِ.
أي:(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن)
هو محروم مخذول
(يَشْتَرِي)
أي: يختار و يرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء.

(لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ)

أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب

فدخـــــل في هـــــذا :-

1-كل كلام محرم، و كل لغو، و باطل،

و هذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، و الفسوق، و العصيان،

2-و من أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق،

و من غيبة، و نميمة، و كذب، و شتم، و سب،

و من غناء و مزامير شيطان،

3-و من الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين و لا دنيا.

فهذا الصنف من الناس، يشتري لهو الحديث، عن هدي الحديث

(لِيُضِلَّ)

الناس

(عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ)

أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره،

لأن الإضلال، ناشئ عن الضلال.

و إضلاله في هذا الحديث؛ صده عن الحديث النافع، و العمل النافع،

و الحق المبين، و الصراط المستقيم.

(وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا)

و لا يتم له هذا، حتى يقدح في الهدى و الحق

و يتخذ آيات اللّه هزوا و يسخر بها، و بمن جاء بها،

❍فإذا جمع بين مدح الباطل و الترغيب فيه، و القدح في الحق،

و الاستهزاء به و بأهله، أضل من لا علم عنده و خدعه بما يوحيه إليه،

من القول الذي لا يميزه ذلك الضال، و لا يعرف حقيقته.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾

بما ضلوا و أضلوا، و استهزءوا بآيات اللّه و كذبوا الحق الواضح.

***كَمَا اسْتَهَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ سَبِيلِهِ،أُهِينُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ المستمر.

❍و لهذا قال ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾

ليؤمن بها و ينقاد لها،

﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا ﴾

أي: أدبر إدبار مستكبر عنها، رادٍّ لها،

و لم تدخل قلبه و لا أثرت فيه، بل أدبر عنها

﴿كَأَن ﴾

بل

﴿لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ ﴾

أي: صمما لا تصل إليه الأصوات؛ فهذا لا حيلة في هدايته.

***هَذَا الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهْوِ وَ اللَّعِبِ وَ الطَّرَبِ،

إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ:-

1-وَلَّى عَنْهَا وَ أَعْرَضَ وَ أَدْبَرَ

2-و تَصَامّ وَ مَا بِهِ مِنْ صَمَم، كَأَنَّهُ مَا يَسْمَعُهَا؛

لِأَنَّهُ يَتَأَذَّى بِسَمَاعِهَا، إِذْ لَا انْتِفَاعَ لَهُ بِهَا، وَ لَا أَرَبَ لَهُ فِيهَا،

(فَبَشِّرْهُ)

بشارة تؤثر في قلبه:- الحزن و الغم؛

و في بشرته:- السوء و الظلمة و الغبرة.

(بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

*** يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْلِمُهُ، كَمَا تَأَلَّمَ بِسَمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ.

مؤلم لقلبه؛ و لبدنه؛ لا يقادر قدره؛ و لا يدرى بعظيم أمره،

و هذه بشارة أهل الشر، فلا نِعْمَتِ البشارة.

و أما بشارة أهل الخير فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

جمعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، و الظاهر بالإسلام، و العمل الصالح.

(لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ)

بشارة لهم بما قدموه، و قرى لهم بما أسلفوه.

(خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ)

أي: في جنات النعيم، نعيم القلب و الروح، و البدن.

(وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ)

لا يمكن أن يخلف، و لا يغير، و لا يتبدل.

(وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)

كامل العزة، كامل الحكمة، من عزته و حكمته:-

وفق من وفق،

و خذل من خذل،

بحسب ما اقتضاه علمه فيهم و حكمته.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾
هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ
بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

يتلو تعالى على عباده، آثارا من آثار قدرته، و بدائع من بدائع حكمته،

و نعما من آثار رحمته، فقال: (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)

السبع على عظمها، و سعتها، و كثافتها، و ارتفاعها الهائل.

(بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ)

من أدلة وحدانية الله و قدرته 10-11

أي: ليس لها عمد، و لو كان لها عمد لرئيت

و إنما استقرت و استمسكت، بقدرة اللّه تعالى.

(وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ)

أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها و أنحائها،

(أَن)

لئلا

(تَمِيدَ)

*تضطرب

(بِكُمْ)

فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض، و لما استقرت بساكنيها.

(وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ)

أي: نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب،

التي هي مسخرة لبني آدم، و لمصالحهم، و منافعهم.

(وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً)

و لما بثها في الأرض، علم تعالى أنه لا بد لها من رزق تعيش به،

فأنزل من السماء ماء مباركا

(فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)

المنظر، نافع مبارك، فرتعت فيه الدواب المنبثة، و سكن إليه كل حيوان.

(هَٰذَا)

أي: خلق العالم العلوي و السفلي، من جماد، و حيوان،

و سَوْقِ أرزاق الخلق إليهم

(خَلْقُ ٱللَّهِ)

وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

(فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ)

أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم و تعبدونهم،

يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، و رزق كرزقه،

فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة.

و من المعلوم أنهم لا يقدرون أن يروه شيئا من الخلق لها،

لأن جميع المذكورات، قد أقروا أنها خلق اللّه وحده،

و لا ثَمَّ شيء يعلم غيرها،

فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد.

و لكن عبادتهم إياها، عن غير علم و بصيرة، بل عن جهل و ضلال،

و لهذا قال: (بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)

أي: جَلِيٍّ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا،

و تركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ
لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ
إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا
تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن
كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ

بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ - ﴿١٩﴾) إلى آخر القصة.

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ)

قصة لقمان و وصاياه لابنه 12-19

***اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي لُقْمَانَ عليه السلام:-
هَلْ كَانَ نَبِيًّا، أَوْ عَبْدًا صَالِحًا مِنْ غَيْرِ نُبُوَّةٍ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، الْأَكْثَرُونَ عَلَى الثَّانِي.
***عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: -
مَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِ لُقْمَانَ؟ قَالَ: كَانَ قَصِيرًا أَفْطَسَ مِنَ النُّوبَةِ.
***عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ:-
كَانَ لُقْمَانُ مِنْ سُودَانِ مِصْرَ، ذَا مَشَافِرَ( ) أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَمَنَعَهُ النُّبُوَّةَ.
***وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَة
قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ يَسْأَلُهُ،
فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: لَا تَحْزَنْ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ أَسْوَدَ،
فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَخْيَرِ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ مِنَ السُّودَانِ: -
بِلَالٌ، ومِهْجَع مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَلُقْمَانُ الْحَكِيمُ،
كَانَ أَسْوَدَ نُوبِيًّا ذَا مَشَافِرَ ( ) .
***وَقَالَ الْأَعْمَشُ: قَالَ مُجَاهِدٌ: -
كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا أَسْوَدَ عَظِيمَ الشَّفَتَيْنِ، مُشَقَّقَ الْقَدَمَيْنِ.

❍يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة:-

معجم اللغة العربية المعاصرة :مِشْفَر [مفرد]:ج مَشافِرُ:شفة البعير الغليظة "له شفتان كمِشْفَري البعير".

تفسير الطبري (43/21)

وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته،

فهي العلم بالأحكام،ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام،

فقد يكون الإنسان عالما، ولا يكون حكيما.

وأما الحكمة:-

فهي مستلزمة للعلم، بلوللعمل،

ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح.

***الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالتَّعْبِيرَ

(وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ)

❍ولما أعطاه اللّه هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه،

ليبارك له فيه، وليزيده من فضله،

وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم،

***لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}[الرُّومِ: 44]

(وَمَن كَفَرَ)

وأن من كفر فلم يشكر اللّه، عاد وبال ذلك عليه.

(فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ)

والله غني عنه

(حَمِيدٌ)

فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره،

❍فغناه تعالى، من لوازم ذاته،

❍وكونه حميدا في صفات كماله،

حميدا في جميل صنعه، من لوازم ذاته،

وكل واحد من الوصفين، صفة كمال،

واجتماع أحدهما إلى الآخر، زيادة كمال إلى كمال.

❍واختلف المفسرون، هل كان لقمان نبيا، أو عبدا صالحا؟

واللّه تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة،

وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لابنه،

فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار فقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ :-

أو قال له قولا به يعظه بالأمر،

والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب،

فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك

فقال:﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب،

بمالك الرقاب،

❍وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله،

❍وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه،

❍وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه،

ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟!

وهل أعظم ظلما ممن خلقه اللّه لعبادته وتوحيده،

فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا.

***صحيح البخاري

32 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } [الأنعام: 82]

قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]( )

***ثُمَّ قَرَنَ بِوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ الْبَرَّ بِالْوَالِدَيْنِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[الْإِسْرَاءِ: 23]

***وَ كَثِيرًا مَا يَقْرِنُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ.

❍و لما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد،

(يلبسوا) يخلطوا. والآية من سورة الأنعام 82. (فأنزل الله إن الشرك) أي فبين الله تعالى أن المراد بالظلم الشرك. والآية من سورة لقمان 13]

أمر بالقيام بحق الوالدين

فقال: (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ)

أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها،

وهل حفظها أم لا؟

***لاحظ أخي الفاضل تحول في الخطاب بعد ذلك:**

قال (ووصينا)

فلقمان يخاطب ولده و يعظه

و لما جاء الأمر ببر الوالدين لا يليق بالوالد أن يقول لولده:-

برنى و اعطف علىّ وتحنن علىّ و استوصِ بى

فالوالد أجل من أن يطلب هذا الطلب و أرفع)

فوصيناه (بِوَٰلِدَيْهِ)

وقلنا له:(أَنِ ٱشْكُرْ لِى)

بالقيام بعبوديتي، و أداء حقوقي،

و أن لا تستعين بنعمي على معصيتي.

(وَلِوَٰلِدَيْكَ)

بالإحسان إليهما بـــــــــــ:-

1-القول اللين، و الكلام اللطيف،

2–و الفعل الجميل،

3–و التواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما،

4–و القيام بمئونتهما

5–و اجتناب الإساءةإليهمامن كل وجه، بـالقول و الفعل.

فوصيناه بهذه الوصية،

و أخبرناه أن (إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ)

أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وصاك، وكلفك بهذه الحقوق،

فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟

أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟.

ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم،

فقال: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ)

أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق،

من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض،والضعف، والثقل،وتغير الحال،

ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

(وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ)

*الميسر:وفِطامه عن الرضاعة في مدة عامين

❍وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها،

أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب،

أن يؤكد على ولده، ويوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}[الْبَقَرَةِ: 233] .

***وَمِنْ هَاهُنَا اسْتَنْبَطَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

{وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا} [الْأَحْقَافِ: 15] .

***وَإِنَّمَا يَذْكُرُ تَعَالَى تربيةَ الْوَالِدَةِ وَتَعَبَهَا وَمَشَقَّتَهَا فِي سَهَرِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا، ليُذكّر الْوَلَدَ بِإِحْسَانِهَا الْمُتَقَدِّمِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الْإِسْرَاءِ: 24]

وَلِهَذَا قَالَ: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}

أَيْ: فَإِنِّي سَأَجْزِيكَ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ.

(وَإِن جَـٰهَدَاكَ)

أي: اجتهد والداك

(عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ)

ولا تظن أن هذا داخل في الإحسان إليهما،

لأن حق اللّه، مقدم على حق كل أحد،

و « لا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق »

ولم يقل: « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما »

بل قال: (فَلَا تُطِعۡهُمَا)

أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه،

ولهذا قال: (وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا)

أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف،

وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما.

(وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)

وهم المؤمنون باللّه،وملائكته وكتبه، ورسله،

المستسلمون لربهم، المنيبون إليه.

واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى اللّه،

التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى اللّه،

ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي اللّه، ويقرب منه.

(ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ)

الطائع والعاصي، والمنيب، وغيره

(فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

فلا يخفى على اللّه من أعمالهم خافية

(يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ)

التي هي أصغر الأشياء وأحقرها،

***إِنَّ الْمَظْلَمَةَ أَوِ الْخَطِيئَةَ لَوْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْخَرْدَلٍ.

(فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ)

أي في وسطها

(أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

في أي جهة من جهاتهما

(يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ)

لسعة علمه، وتمام خبرته وكمال قدرته،

***أَحْضَرَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ،
وَجَازَى عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 47]

وَقَالَ تَعَالَى:{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزَّلْزَلَةِ:7، 8]

ولهذا قال:(إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ)

***الْعَلَمِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ دَقت وَلَطُفَتْ وَتَضَاءَلَتْ

(خَبِيرٌ)

***بِدَبِيبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ.

❍أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على البواطن والأسرار،

وخفايا القفار والبحار.

❍والمقصود من هذا، الحث على مراقبة اللّه، والعمل بطاعته،

مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ.

***وَالظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -أَنَّ الْمُرَادَ:-

أَنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ فِي حَقَارَتِهَا لَوْ كَانَتْ دَاخِلَ صَخْرَةٍ،

فَإِنَّ اللَّهَ سَيُبْدِيهَا وَيُظْهِرُهَا بِلَطِيفِ عِلْمِهِ،

(يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ)

حثه عليها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية،

***بِحُدُودِهَا وَفُرُوضِهَا وَأَوْقَاتِهَا،

(وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ)

***بِحَسَبِ طَاقَتِكَ وَجُهْدِكَ،

❍وذلك يستلـــــزم:-

1-العلم بالمعروف ليأمر به،

2-والعلم بالمنكر لينهى عنه.

والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف،والنهي عن المنكر إلا به مـــن:-

الـــــرفق، والصبـــــر،

وقد صرح به في قوله:-(وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ)

***عَلِمَ أَنَّ الْآمِرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ،

لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَذًى، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ.

❍ومن كونه فاعلا لما يأمر به، كافًّا لما ينهى عنه،

فتضمـــــن هـــــــــذا:-

1-تكميل نفسه بـــــفعل الخير وترك الشر،

2-وتكميل غيره بذلك، بـــــأمره ونهيـــــه.

❍ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى

وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال:-

(وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ)

الذي وعظ به لقمان ابنه

(مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ)

أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم.

(وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)

أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبُّرًا عليهم، وتعاظما.

***مسند أحمد ط الرسالة

20633 -عن أَبِي جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيُّ،

قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ،

فَعَلِّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا اللهُ بِهِ،

قَالَ: " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،

وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي،

وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ،
وَإِيَّاكَ وَتَسْبِيلَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ،
وَالْخُيَلَاءُ لَا يُحِبُّهَا اللهُ وَإِنْ امْرُؤٌ سَبَّكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ،
فَلَا تَسُبَّهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ، وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ ".

(وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا)

أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك.

(ليس المرح:السرور و الفرح)

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ)

في نفسه وهيئته وتعاظمه

(فَخُورٍ)

بقوله.

***أَيْ عَلَى غَيْرِهِ،

وَقَالَ تَعَالَى:{وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} [الْإِسْرَاءِ: 37]

(وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)

أى: امش متواضعا مستكينا،

لا مَشْيَ البطر و التكبر، و لا مشى التماوت.

(ليس المراد القصد بمعنى :النية أو التمهل أو تحديد الوجهة)

(وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ)

أدبـــــــامع الناس ومع اللّه،

***لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ،وَ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ)أى أفظعها وأبشعها

***قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِد:- إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ أَيْ: غَايَةُ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ أَنَّهُ يُشَبه بِالْحَمِيرِ فِي عُلُوِّهِ وَرَفْعِهِ، وَمَعَ هَذَا هُوَ بَغِيضٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بِالْحَمِيرِ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ وَذَمَّهُ غَايَةَ الذَّمِّ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-

***مسند أحمد ط الرسالة:

1872 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍرضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:

لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ: الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ، كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ "

(لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ)

فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة،

لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته.

وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم،

وتستلزم ما لم يذكر منها،

وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمرا،

وإلى تركها إن كانت نهيا.

❍وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة:-

أنهاالعلم بالأحكام، وحِكَمِها ومناسباتها،
فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد،
ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجب لتركه،
وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما،
وأمره بشكره وشكرهما،
ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما، ما لم يأمرا بمعصية،
ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما،
وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك.
❍وأمره بمراقبة اللّه، وخوَّفه القدوم عليه،
وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها.
❍ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع،
ونهاه عن البطر والأشر، والمرح،
وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.
❍وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة،
وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر،
كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصا بالحكمة، مشهورا بها.
ولهذا من منة اللّه عليه وعلى سائر عباده، أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة.

***صحيح البخاري
3303 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:
«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ،
فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ
فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً
وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ
﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ
كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى
ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾
وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾
وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ
إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾

يمتن تعالى على عباده بنعمه، و يدعوهم إلى شكرها و رؤيتها؛

نعم الله و عناد المشركين
و اثبات قدرة الله و البعث
31-20

و عدم الغفلة عنها فقال: (أَلَمْ تَرَوْا)

أي: تشاهدوا و تبصروا بأبصاركم و قلوبكم،

(أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ)

من الشمس و القمر و النجوم، كلها مسخرات لنفع العباد.

(وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ)

من الحيوانات و الأشجار و الزروع، و الأنهار و المعادن و نحوها

كما قال تعالى:(هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا)

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ)

أي: عمّكم و غمركم

(نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً)

الظاهرة و الباطنة التي نعلم بها و التي تخفى علينا،

نعم الدنيا، و نعم الدين، حصول المنافع، و دفع المضار،

فوظيفتكـــــــــــم :-

1-أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم و الخضوع له؛

2-و صرفها في الاستعانة على طاعته،

3-و أن لا يستعان بشيء منها على معصيته.

(و)

لكن مع توالي هذه النعم؛

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن)

لم يشكرها بل كفرهـــــا؛

و كفر بمن أنعم بها؛ و جحد الحق الذي أنزل به كتبه؛

و أرسل به رسله،

فجعل (يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ)

أي: يجادل عن الباطل؛ ليدحض به الحق؛

و يدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة اللّه وحده،

و هذا المجادل على غير بصيرة،

فليس جداله عن علم، فيترك و شأنه، و يسمح له في الكلام

(وَلَا هُدًى)

يقتدي به بالمهتدين

(وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ)

***مضيء

❍غير مبين للحق فلا معقول و لا منقول و لا اقتداء بالمهتدين

و إنما جداله في اللّه مبني على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين.

و لهذا قال: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)

على أيدي رسله، فإنه الحق، و بينت لهم أدلته الظاهرة

(قَالُواْ)

معارضين ذلك:-

(بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ)

فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد كائنا من كان.

قال تعالى في الرد عليهم و على آبائهم:-

❍فاستجاب له آباؤهم، و مشوا خلفه، و صاروا من تلاميذ الشيطان،

و استولت عليهم الحيرة.

فهل هذا موجب لاتباعهم لهم و مشيهم على طريقتهم،

أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، و ينادي على ضلالهم،و ضلال من اتبعهم.

و ليس دعوة الشيطان لآبائهم و لهم، محبة لهم و مودة،

و إنما ذلك عداوة لهم و مكر بهم،

و بالحقيقة أتباعه من أعدائه، الذين تمكن منهم و ظفر بهم، و قرت عينه باستحقاقهم عذاب السعير، بقبول دعوته.

***لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ إِلَّا اتِّبَاعَ الْآبَاءِ الْأَقْدَمِينَ،

قَالَ اللَّهُ:-{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ} [الْبَقَرَةِ: 170]

أَيْ: فَمَا ظَنُّكُمْ أَيُّهَا الْمُحْتَجُّونَ بِصَنِيعِ آبَائِهِمْ،

أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ وَ أَنْتُمْ خَلَفٌ لَهُمْ فِيمَا كَانُوا فِيهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ}

۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

(وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)

أي: يخضع له و ينقاد له بفعل الشرائع مخلصا له دينه.

(وَهُوَ مُحْسِنٌ)

1–في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعا، قد اتبع فيه الرسول ﷺ.

2–أو: و من يسلم وجهه إلى اللّه، بفعل جميع العبادات، و هو محسن فيها،

بأن يعبد اللّه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه.

3–أو و من يسلم وجهه إلى اللّه، بالقيام بحقوقه،و هو محسن إلى عباد اللّه، قائم بحقوقهم.

❍و المعاني متلازمة، لا فرق بينها إلا من جهة اختلاف مورد اللفظتين، و إلا فكلها متفقة على القيام بجميع شرائع الدين على وجه تقبل به و تكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم

(فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ)

أي: بالعروة التي من تمسك بها، توثق و نجا، و سلم من الهلاك، و فاز بكل خير.

و من لم يسلم وجهه للّه، أو لم يحسن لم يستمسك بالعروة الوثقى، و إذا لم يستمسك بالعروة الوثقى لم يكن ثَمَّ إلا الهلاك و البوار.

(وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ)

أي: رجوعها و موئلها و منتهاها، فيحكم في عباده، و يجازيهم بما آلت إليه أعمالهم، و وصلت إليه عواقبهم، فليستعدوا لذلك الأمر.

(وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ)

لأنك أديت ما عليك، من الدعوة و البلاغ، فإذا لم يهتد، فقد وجب أجرك على اللّه،

و لم يبق للحزن موضع على عدم اهتدائه، لأنه لو كان فيه خير، لهداه اللّه.

❍و لا تحزن أيضا، على كونهم تجرأوا عليك بالعداوة، و نابذوك المحاربة، و استمروا على غيهم و كفرهم،

❍و لا تتحرق عليهم، بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب.

فإن ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾

من كفرهم و عداوتهم، و سعيهم في إطفاء نور اللّه و أذى رسله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، و كان شهادة ؟

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾

في الدنيا، ليزداد إثمهم، و يتوفر عذابهم،

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾

أي: نلجئهم

﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

أي: انتهى في عظمه و كبره، و فظاعته، و ألمه، و شدته.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾

ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ
سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾
مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٨﴾

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم)

أي: و لئن سألت هؤلاء المشركين المكذبين بالحق

(مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ)

لعلموا أن أصنامهم، ما خلقت شيئا من ذلك

و لبادروا بقولهم الله الذي خلقهما وحده.

(لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ)

فـــــ(قُلِ)

لهم ملزما لهم، و محتجا عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا:

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ)

الذي بيَّن النور، و أظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم،

فلو كانوا يعلمون، لجزموا أن المنفرد بالخلق و التدبير،

هو الذي يفرد بالعبادة و التوحيد.

(بَلۡ)

***و لكن

(أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

فلذلك أشركوا به غيره، و رضوا بتناقض ما ذهبوا إليه،

على وجه الحيرة و الشك، لا على وجه البصيرة،

(لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)

ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجا من سعة أوصافه،

ليدعو عباده إلى معرفته، و محبته، و إخلاص الدين له.

فذكر عموم ملكه، و أن جميع ما في السماوات و الأرض –

و هذا شامل لجميع العالم العلوي و السفلي – أنه ملكه،

يتصرف فيهم بـــــــ:-

1-أحكام الملك القدرية،

2-و أحكامه الأمرية،

3-و أحكامه الجزائية،

فكلهم عبيد مماليك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء،

(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ)

و أنه واسع الغنى، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أحد من الخلق.

(مَا أُرِيدُ مِنۡهُمۡ مِنۡ رِزۡقٖ وَمَا أُرِيدُ أَنۡ يُطۡعِمُونِ)

و أن أعمال النبيين و الصديقين، و الشهداء و الصالحين،لا تنفع اللّه شيئا

و إنما تنفع عامليها، و اللّه غني عنهم، و عن أعمالهم،

(ٱلْحَمِيدُ)

و من غناه، أن أغناهم و أقناهم في دنياهم و أخراهم.

ثم أخبر تعالى عن سعة حمده، و أن حمده من لوازم ذاته،

فلا يكون إلا حميدا من جميع الوجوه،

فهو حميد في ذاته،

و هو حميد في صفاته،

فكل صفة من صفاته، يستحق عليها أكمل حمد و أتمه،

لكونها صفات عظمة و كمال،

و جميع ما فعله و خلقه يحمد عليه،

و جميع ما أمر به و نهى عنه يحمد عليه،

و جميع ما حكم به في العباد و بين العباد، في الدنيا و الآخرة، يحمد عليه.

ثم أخبر عن سعة كلامه و عظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ،

و تنبهر له العقول، و تحير فيه الأفئدة،

و تسيح في معرفته أولو الألباب و البصائر، فقال:

(وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ)

يكتب بها

(وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ)

مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام و لفني ذلك المداد، و لم تنفد

(مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ)

تعالى، و هذا ليس مبالغة لا حقيقة له،

بل لما علم تبارك و تعالى، أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته،

و علم تعالى أن معرفته لعباده، أفضل نعمة،

أنعم بها عليهم،

و أجل منقبة حصلوها،

و هي لا تمكن على وجهها،

و لكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله،

فنبههم تعالى تنبيها تستنير به قلوبهم، و تنشرح له صدورهم،

و يستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه،

و يقولون كما قال أفضلهم و أعلمهم بربه:

« لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك »

و إلا فالأمر أجل من ذلك و أعظم.

و هذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام و الأذهان،

و إلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة،

و البحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة،

فإنه يتصور نفادها و انقضاؤها، لكونها مخلوقة.

❍و أما كلام اللّه تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي و العقلي، على أنه لا نفاد له و لا منتهى، و كل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته

(وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى)

و إذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى و آخريته،

و أنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض و التقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية،

و أنه مهما فرضه الذهن والعقل، من الأزمان المتأخرة،

و تسلسل الفرض و التقدير،

و ساعد على ذلك من ساعد، بقلبه و لسانه،

فاللّه تعالى بعد ذلك إلى غير غاية و لا نهاية.

و اللّه في جميع الأوقات يحكم، و يتكلم، و يقول، و يفعل كيف أراد،

و إذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله و أفعاله،

فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المثل الذي ضربه اللّه لكلامه،

ليدرك العباد شيئا منه، و إلا فالأمر أعظم و أجل.

***وَ لَوْ أَنَّ جَمِيعَ أَشْجَارِ الْأَرْضِ جُعِلَتْ أَقْلَامًا،
وَ جُعِلَ الْبَحْرُ مِدَادًا ومَده سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَعَهُ
فَكُتِبَتْ بِهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ الدَّالَّةُ عَلَى عَظَمَتِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ جَلَالِهِ
لَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ، ونَفدَ مَاءُ الْبَحْرِ، وَلَوْ جَاءَ أَمْثَالُهَا مَدَدا.

❍وَ إِنَّمَا ذُكِرَتِ "السَّبْعَةُ" عَلَى وَجْهِ الْمُبَالِغَةِ،

وَ لَمْ يُرِدِ الْحَصْرَ وَلَا أَنَّ ثَمَّ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَوْجُودَةً تُحِيطُ بِالْعَالَمِ،
كَمَا يَقُولُهُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ كَلَامِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ وَلَا تُكَذَّبُ،
بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:
{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الْ كَهْفِ: 109]

فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {بِمِثْلِهِ} آخَرَ فَقَطْ،
بَلْ بِمِثْلِهِ ثُمَّ بِمِثْلِهِ ثُمَّ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرًّا؛
لِأَنَّهُ لَا حَصْرَ لِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ.

❍ثم ذكر جلالة عزته و كمال حكمته فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

أي: له العزة جميعا، الذي ما في العالم العلوي و السفلي من القوة إلا منه،

أعطاها للخلق،

فلا حول و لا قوة إلا به،

و بعزتـــــــه:-

قهر الخلق كلهم، و تصرف فيهم، و دبرهم،

و بحكمتـــــــه:-

خلق الخلق، و ابتدأه بالحكمة، و جعل غايته و المقصود منه الحكمة،

و كذلك الأمر و النهي وجد بالحكمة،

و كانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه و أمره.

❍ثم ذكر عظمة قدرته و كمالها

و أنه لا يمكن أن يتصورها العقل

فقال: (مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)

و هذا شيء يحير العقول،

إن خلق جميع الخلق – على كثرتهم و بعثهم بعد موتهم،

بعد تفرقهم في لمحة واحدة – كخلقه نفسا واحدة،

فلا وجه لاستبعاد البعث و النشور، و الجزاء على الأعمال،

إلا الجهل بعظمة اللّه و قوة قدرته.

***مَا خَلْقُ جَمِيعِ النَّاسِ وَ بَعْثُهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ إِلَّا كَنِسْبَةِ خَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، الْجَمِيعُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ

وَ {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: 82]

{وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [الْقَمَرِ: 50]

أَيْ: لَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً،

فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّرِهِ وَ تَوَكُّدِهِ.

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النَّازِعَاتِ: 13، 14] .

❍ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، و بصره لجميع المبصرات

فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ)

***لِأَقْوَالِهِمْ

(بَصِيرٌ)

بِأَفْعَالِهِمْ كَسَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

كَذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ كَقُدْرَتِهِ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:{مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ
فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠

(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ)

و هذا فيه أيضا، انفراده بالتصرف و التدبير، و سعة تصرفه بـــــــ:-

إيلاج الليل في النهار،

و إيلاج النهار في الليل،

أي: إدخال أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر.

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ)

و تسخيره للشمس و القمر، يجريان بتدبير و نظام، لم يختل منذ خلقهما،

ليقيم بذلك من مصالح العباد و منافعهم، في دينهم و دنياهم،

ما به يعتبرون و ينتفعون.

(كُلٌّ)

و منهما

(يَجۡرِي إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى)

إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، و تعطل سلطانهما،

و ذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، و يخسف القمر،

و تنتهي دار الدنيا، و تبتدئ الدار الآخرة.

***صحيح البخاري

3199 - عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»

قُلْتُ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ،

فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَ يُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ،

فَ لَايُقْبَلَ مِنْهَا، وَ تَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا:-

ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا،

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ}

[يس: 38] "

(وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ)

من خير و شر

(خَبِيرٌ)

لا يخفى عليه شيء من ذلك،

و سيجازيكم على تلك الأعمال، بالثواب للمطيعين، و العقاب للعاصين.

و (ذَٰلِكَ)

الذي بين لكم من عظمته و صفاته، ما بيَّن

(بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ)

في ذاته و في صفاته، و دينه حق،

و رسله حق، و وعده حق، و وعيده حق،

و عبادته هي الحق.

(وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ)

في ذاته و صفاته،

فلولا إيجاد اللّه له لما وجد،

و لولا إمداده لَمَا بَقِيَ، فإذا كان باطلا كانت عبادته أبطل و أبطل.

*** قَوْلِهِ:{اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنزلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا}

[الطَّلَاقِ: 12]

(وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ)

بذاته، فوق جميع مخلوقاته،

الذي علت صفاته، أن يقاس بها صفات أحد من الخلق،

و علا على الخلق فقهرهم

(ٱلْكَبِيرُ)

الذي له الكبرياء في ذاته و صفاته،

و له الكبرياء في قلوب أهل السماء و الأرض.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ
دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ)

أي: ألم تر من آثار قدرته و رحمته، و عنايته بعباده، أن :–

سخر البحر، تجري فيه الفلك، بأمره القدري و لطفه و إحسانه

(لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ)

ففيها الانتفـــــاع و الاعتبـــــار.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)

فهم المنتفعون بالآيات،

(صَبَّارٍ)

على الضراء،

صبار على طاعة اللّه و عن معصيته، و على أقداره،

(شَكُورٍ)

على السراء،

شكور للّه، على نعمه الدينية و الدنيوية.

طبيعة الكفار و الأمر
بالتقوى و علم الله
بالغيب 32-34

(وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ)
*** كَالْجِبَالِ وَ الْغَمَامِ
(دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)

*الدعاء

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ} [الْإِسْرَاءِ: 67]

وَ قَالَ {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 65] .

❍و ذكر تعالى حال الناس، عند ركوبهم البحر،

و غشيان الأمواج كالظل فوقهم، أنهم يخلصون الدعاء للّه و العبادة:-

(فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ)

انقسمـــــوا فريقيـــــن:

1-(فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌۚ)

فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر اللّه على وجه الكمال،

بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

***قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ كَافِرٌ. كَأَنَّهُ فَسَرَّ الْمُقْتَصِدَ هَاهُنَا بِالْجَاحِدِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}[الْعَنْكَبُوتِ: 65] .

***وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُوَ الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ.

وَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ هُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ:

{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}[فَاطِرٍ: 32]

فَالْمُقْتَصِدُ هَـــــاهُنَـــــا هُوَ:-

الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ.

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا هُنَا أَيْضًا،

وَ يَكُونُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ شَاهَدَ تِلْكَ الْأَهْوَالَ وَ الْأُمُورَ الْعِظَامَ وَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ فِي الْبَحْرِ،

ثُمَّ بَعْدَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَاصِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِـــ:-

الْعَمَلِ التَّامِّ،وَ الدَّؤُوبِ فِي الْعِبَادَةِ، وَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ.

فَمَنِ اقْتَصَدَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ مُقَصِّرًا وَ الْحَالَةُ هَذِهِ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

2–و فرقة كافرة بنعمة اللّه، جاحدة لها،

و لهذا قال: (وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ)

أي غدار،

و من غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر و شدته،

لنكونن من الشاكرين،

فغدر و لم يف بذلك

(كَفُورٍ)

بنعم اللّه.

فهل يليق بمن نجاهم اللّه من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم اللّه؟

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا)

يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره، و ترك زواجره،

و يستلفتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد،

الذي فيه كل أحد لا يهمه إلا نفسه

فـــــــــــ(لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗا)

***لَوْ أَرَادَ أَنْ يَفْدِيَهُ بِنَفْسِهِ لَمَا قُبِلَ مِنْهُ.

وَ كَذَلِكَ الْوَلَدُ لَوْ أَرَادَ فَدَاءَ وَالِدِهِ بِنَفْسِهِ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ.

لا يزيد في حسناته و لا ينقص من سيئاته،

قد تم على كل عبد عمله، و تحقق عليه جزاؤه.

فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل،

مما يقوي العبد و يسهِّل عليه تقوى اللّه،

و هذا من رحمة اللّه بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم،

و يعدهم عليها الثواب، و يحذرهم من العقاب،

و يزعجهم إليه بالمواعظ و المخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين.

(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)

فلا تمتروا فيه، و لا تعملوا عمل غير المصدق،

فلهذا قال: (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا)

بزينتها و زخارفها و ما فيها من الفتن و المحن.

(وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ)

الذي هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان

و لا يغفل عنه في جميع الأوقات،

فإن للّه على عباده حقا، و قد وعدهم موعدا يجازيهم فيه بأعمالهم،

و هل وفوا حقه أم قصَّروا فيه.

و هذا أمر يجب الاهتمام به،

و أن يجعله العبد نصب عينيه، و رأس مال تجارته، التي يسعى إليها.

و من أعظم العوائـــــق عنه و القواطـــــع دونه:-

1-الدنيـــــا الفتانة،

2-و الشيطان الموسوس الْمُسَوِّل،

فنهى تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم باللّه الغرور

(يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا)النساء : 120

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ

وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤

قد تقرر أن اللّه تعالى أحاط علمه بالغيب و الشهادة، و الظواهر و البواطن،

و قد يطلع اللّه عباده على كثير من الأمور الغيبية،

و هذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات،

فلا يعلمها نبي مرسل، و لا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما،

فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ)

أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً) الاعراف: 187

(وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ)

أي: هو المنفرد بإنزاله، و علم وقت نزوله.

(وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ)

فهو الذي أنشأ ما فيها، و علم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى،

و لهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟

فيقضي اللّه ما يشاء.

***فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الْأَرْحَامِ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَحْمَرُ أَوْ أَسْوَدُ، وَ مَا هُوَ

(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا)

من كسب دينها و دنياها

*** أَخَيْرٌ أَمْ شَرٌّ،

(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)

*** لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَدْرِي أَيْنَ مَضْجَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ، أَفِي بَحْرٍ أَمْ بَرٍّ، أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ؟

بل اللّه تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه.

***وَ هَذِهِ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ} الْآيَةَ [الْأَنْعَامِ: 59] .

وَ قَدْ وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِتَسْمِيَةِ هَذِهِ الْخَمْسِ: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ.

*** صحيح البخاري

7379 -عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ:

1-لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ،

2-وَ لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ،

3-وَ لاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ،

4-وَ لاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ،

5-وَ لاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ "

○و لما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء

فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

محيط بالظواهر و البواطن، و الخفايا و الخبايا، و السرائر، و من حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك.

تم تفسير سورة لقمان بفضل اللّه و عونه، و الحمد للّه.

سورة السجدة-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ
ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ
ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ
مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن
مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ
جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

تفسير سورة السجدة و هي مكية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

اثبات تنزيل القرآن 1-3

(الٓمٓ)

يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم،

(لَا رَيْبَ فِيهِ)،

و لا شك، و لا امتراء،

(تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

أنه تنزيل من رب العالمين،

الذي رباهم بنعمته.

❍و من أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم،

و يتمم أخلاقهم،

(أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ)

❍و مع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك:-

افتراه محمد، و اختلقه من عند نفسه،

و هذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام اللّه،

و رُمِي محمد ﷺ بأعظم الكذب، و قدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق.

و كل واحد من هذه من الأمور العظائم قال اللّه – رادًا على من قال:

افتراه:-

(بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ)

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

(مِن رَّبِّكَ)

أنزله رحمة للعباد

(لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ)

أي: في حالة ضرورة و فاقة لإرسال الرسول، و إنزال الكتاب، لعدم النذير،

بل هم في جهلهم يعمهون، و في ظلمة ضلالهم يترددون،

فأنزلنا الكتاب عليك

(لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ)

من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه.

و هذه الأشياء التي ذكرها اللّه كلها، مناقضة لتكذيبهم له:

و إنها تقتضي منهم الإيمان و التصديق التام به،

و هو كـــــونه(مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

و أنه (الۡحَقُّ)

و الحق مقبول على كل حال،

و أنه (لَا رَيۡبَ فِيهِ)

بوجه من الوجوه، فليس فيه، ما يوجب الريبة،

لا بخبر لا يطابق للواقع و لا بخفاء و اشتباه معانيه،

و أنهم في ضرورة و حاجة إلى الرسالة،

و أن فيه الهداية لكل خير و إحسان.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ) بعض الادلة على قدرة الله و وحدانيته 4-9

يخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق

(ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ)

أولها، يوم الأحد، و آخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة،

و لكنه تعالى رفيق حكيم.

(ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ)

الذي هو سقف المخلوقات، استواء يليق بجلاله.

(مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ)

يتولاكم، في أموركم، فينفعكم

(وَلَا شَفِيعٍۚ)

يشفع لكم، إن توجه عليكم العقاب.

(أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

فتعلمون أن خالق الأرض و السماوات، المستوي على العرش العظيم،

الذي انفرد بتدبيركم، و توليكم،

و له الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة.

(يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ)

القدري و الأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره،

نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير

(مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ)

فَيُسْعِدُ بها و يُشْقِي، و يُغْنِي و يُفْقِرُ، و يُعِزُّ، و يُذِلُّ، و يُكرِمُ، و يُهِينُ،

و يرفع أقوامًا، و يضع آخرين، و يُنزل الأرزاق.

(ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ)

أي: الأمر ينزل من عنده،و يعرج إليه

*يصعد

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)

و هو يعرج إليه، و يصله في لحظة.

(ذَٰلِكَ)

الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، الذي استوى على العرش العظيم،

و انفرد بالتدابير في المملكة،

(عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)

فبسعة علمه، و كمال عزته، و عموم رحمته، أوجدها،

و أودع فيها، من المنافع ما أودع، و لم يعسر عليه تدبيرها.

***{ ٱلْعَزِيزُ }

الَّذِي قَدْ عَزَّ كلَّ شَيْءٍ فَقَهَرَهُ وَ غَلَبَهُ، وَ دَانَتْ لَهُ الْعِبَادُ وَ الرِّقَابُ،

{ ٱلرَّحِيمُ }

بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَهُوَ عَزِيزٌ فِي رَحْمَتِهِ، رَحِيمٌ فِي عِزَّتِهِ

وَ هَذَا هُوَ الْكَمَالُ: الْعِزَّةُ مَعَ الرَّحْمَةِ، وَ الرَّحْمَةُ مَعَ الْعِزَّةِ، فَهُوَ رَحِيمٌ بِلَا ذُلٍّ

(ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ)

أي:كل مخلوق خلقه اللّه، فإن اللّه أحسن خلقه، و خلقه خلقًا يليق به،

و يوافقه، فهذا عام.

ثم خص الآدمي لشرفه و فضله فقال:- (وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ)

و ذلك بخلق آدم عليه السلام أبي البشر.

(ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ)

أي: ذرية آدم ناشئة

(مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ)

و هو النطفة المستقذرة الضعيفة.

***يَتَنَاسَلُونَ كَذَلِكَ مِنْ نُطْفَةٍ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَ تَرَائِبِ الْمَرْأَةِ.

(ثُمَّ سَوَّىٰهُ)

بلحمه، و أعضائه، و أعصابه، و عروقه، و أحسن خلقته،

و وضع كل عضو منه، بالمحل الذي لا يليق به غيره،

(وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ)

بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح،

فيعود بإذن اللّه، حيوانا، بعد أن كان جمادًا.

(وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ)

أي: ما زال يعطيكم من المنافع شيئًا فشيئا، حتى أعطاكم السمع و الأبصار

(وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ)

***العقول

(قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ)

الذي خلقكم و صوركم.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾

قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

(وَقَالُوٓاْ) انكار المشركين للبعث و حالهم يوم القيامة 10-14

أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد:

(أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: بَلِينَا و تمزقنا، و تفرقنا في المواضع التي لا تُعْلَمُ.

(ليس المراد إذا تهنا فى الارض و أضعنا الطريق)

(أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ)

أي:لمبعوثون بعثًا جديدًا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء،

و ذلك لقياسهم قدرة الخالق، بقدرهم.

و كلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة،

و إنما هو ظلم، وعناد،

و كفر بلقاء ربهم وجحد،

و لهذا قال:-(بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ)

فكلامهم علم مصدره و غايته،و إلا فلو كان قصدهم بيان الحق،

لَبَيَّنَ لهم من الأدلة القاطعة على ذلك،

ما يجعله مشاهداً للبصيرة،بمنزلة الشمس للبصر.

و يكفيهم، أنهم معهم علم أنهم قد ابتدئوا من العدم،

فالإعادة أسهل من الابتداء،

و كذلك الأرض الميتة، ينزل اللّه عليها المطر، فتحيا بعد موتها،

و ينبت به متفرق بذورها.

(قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ)

أي: جعله اللّه وكيلا على قبض الأرواح، و له أعوان

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)

فيجازيكم بأعمالكم، و قد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل اللّه بكم.

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا
فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا
وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا
وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ
ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ
نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن
كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ
ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ
كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ
ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا
فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا

وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

لما ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم بين يديه

فقال: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ)

الذين أصروا على الذنوب العظيمة،

(نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ)

خاشعين خاضعين أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: –

(رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا)

*الميسر:

ربنا أبصرنا قبائحنا،

(وَسَمِعْنَا)

*الميسر:منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا،

أي: بان لنا الأمر، و رأيناه عيانًا، فصار عين يقين.

(فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا)

*الميسر:-

فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك،

(إِنَّا مُوقِنُونَ)

إنا قد أيقنّا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، وأنك تبعث من في القبور.

و لو رأيت -أيها الخاطب- ذلك كله، لرأيت أمرًا عظيمًا، و خطبًا جسيمًا.

أي: صار عندنا الآن، يقين بما كنا نكذب به،

أي: لرأيت أمرا فظيعًا، و حالا مزعجة، و أقوامًا خاسرين، و سؤلا غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال.

و كل هذا بقضاء اللّه و قدره، حيث خلى بينهم و بين الكفر و المعاصي،

***قَدْ أَيْقَنَّا وَ تَحَقَّقْنَا أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ وَ لِقَاءَكَ حَقٌّ،

وَ قَدْ عَلِمَ الرَّبُّ تَعَالَى مِنْهُمْ أَنَّهُ لَوْ أَعَادَهُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لَكَانُوا كَمَا كَانُوا فِيهَا كُفَّارًا يُكَذِّبُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَ يُخَالِفُونَ رُسُلَهُ،

كَمَا قَالَ:{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}

[الْأَنْعَامِ: 27-29]

فلهذا قال: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا)

أي: لهدينا الناس كلهم، و جمعناهم على الهدى،

فمشيئتنا صالحة لذلك، و لكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى،

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}

[يُونُسَ: 99] .

و لهذا قال: (وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي)

أي: وجب، و ثبت ثبوتًا لا تغير فيه.

(لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ)

فهذا الوعد، لا بد منه، و لا محيد عنه،

فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر و المعاصي.

(فَذُوقُوا۟)

أي: يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل،

و سألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع

و لم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم،

(بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ)

و هذا النسيان نسيان ترك، أي:-

بما أعرضتم عنه، و تركتم العمل له،

و كأنكم غير قادمين عليه، و لا ملاقيه.

***يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ:-
ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِكُمْ بِهِ، وَ اسْتِبْعَادِكُمْ وُقُوعَهُ،وَ تَنَاسِيكُمْ لَهُ؛ إِذْ عَامَلْتُمُوهُ مُعَامَلَةَ مَنْ هُوَ نَاسٍ لَهُ

(إِنَّا نَسِينَٰكُمْ)

أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ

***إِنَّا سَنُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ النَّاسِي؛

لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْسَى شَيْئًا وَ لَا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ، بَلْ مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}[الْجَاثِيَةِ: 34]

(وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ)

أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل و غاية،

كان فيه بعض التنفيس و التخفيف،

و أما عذاب جهنم – أعاذنا اللّه منه –

فليس فيه روح راحة، و لا انقطاع لعذابهم فيها.

(بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

***بسبب كفركم و تكذيبكم

❍من الكفر و الفسوق و المعاصي.

*** كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا. إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا. إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا. وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا. وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا. فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إِلا عَذَابًا}[النَّبَأِ: 24-30]

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالى الكافرين بآياته، و ما أعد لهم من العذاب،

ذكر المؤمنين بها، و وصفهم، و ما أعد لهم من الثواب،

صفات المؤمنين و جزاؤهم 15-19

فقال:-(إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا)

***يصدق

أي إيمانًا حقيقيًا، من يوجد منه شواهد الإيمان،

و هم: (ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ)

بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن،

و أتتهم النصائح على أيدي رسل اللّه، و دُعُوا إلى التذكر،

سمعوها فقبلوها، و انقادوا،

و (خَرُّواْ سُجَّدٗا)

أي: خاضعين لها، خضوع ذكر للّه، و فرح بمعرفته.

(وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩)

لا بقلوبهم، و لا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها،

بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، و التسليم،

و قابلوها بالانشراح و التسليم،

و توصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم

و اهتدوا بها إلى الصراط المستقيم.

(تَتَجَافَىٰ)

أي: ترتفع و تنزعج

(جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ)

عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه و أحب إليهم،

و هو[الصلاة في الليل، و مناجاة اللّه تعالى.]

و لهذا قال: (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ)

أي: في جلب مصالحهم الدينية و الدنيوية، و دفع مضارهما.

(خَوْفًا وَطَمَعًا)

أي: جامعين بين الوصفين،

(خَوْفًا)

أن ترد أعمالهم،

خوفًا من عذاب اللّه

(وَطَمَعًا)

في قبول الاعمال

و طمعًا في ثوابه.

(وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ)

من الرزق، قليلا كان أو كثيرًا

(يُنفِقُونَ)

و لم يذكر قيد النفقة، و لا المنفق عليه، ليدل على العموم،

فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة:-

كالزكوات، و الكفارات، و نفقة الزوجات و الأقارب،

و النفقة المستحبة في وجوه الخير،

و النفقة و الإحسان المالي، خير مطلقًا، سواء وافق غنيًا أو فقيرًا،

قريبًا أو بعيدًا،

و لكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم.

***مسند أحمد ط الرسالة

3949 - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلَيْنِ:-

1-رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَ لِحَافِهِ، مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَ حَيِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ،

فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي،

ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَ وِطَائِهِ،

وَ مِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَ أَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ،

رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي،

وَ شَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي

2-وَ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،

فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ،

وَ مَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ،

رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي
وَ شَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي،
فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ:-
انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي،
رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي،
وَ رَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي،
حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ "
***مسند أحمد ط الرسالة
22068 - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ:
أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺمِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا.
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ.
قَالَ: " بَخٍ، لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ،
وَ هُوَ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ تُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ،
وَ تُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ،
وَ تَلْقَى اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا
أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى رَأْسِ الْأَمْرِ وَ عَمُودِهِ وَ ذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟
أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ: فَالْإِسْلَامُ، فَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ،
وَ أَمَّا عَمُودُهُ: فَالصَّلَاةُ،
وَ أَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ: فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ،
أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟
الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَ الصَّدَقَةُ وَ قِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُكَفِّرُ الْخَطَايَا،
وَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[السجدة: 16]

أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْلَكِ ذَلِكَ لَكَ كُلِّهِ؟
قَالَ: فَأَقْبَلَ نَفَرٌ،
قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ يَشْغَلُوا عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ
قَالَ شُعْبَةُ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا،
قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَوْلُكَ أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْلَكِ ذَلِكَ لَكَ كُلِّهِ؟
قَالَ: فَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺبِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ.
قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَ إِنَّا لَنُؤَاخَذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟
قَالَ: " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مُعَاذُ،
وَ هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ "

◄ أهل الرجاء والخوف

كُنتُ دائمًا أتأمل كيف امتدح الله سبحانه وتعالى أهل الرجاء والخوف في كتابه، كما في قول الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٣]، فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذا خِفته هربت إليه. السجدة: ١٦

ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[١]، قلتُ: سبحان الله! هم يبيتون ساجدين وقائمين ومع ذلك يخافون الآخرة ويرجون رحمة ربهم؛ لأنهم يشعرون أنهم لم يعملوا !فتأملوا كيف ذَكَرَ تعالى خوفَهم ورجاءَهم مع إتيانهم بهذه الطاعات. الزمر: ٩

و أما جزاؤهم، فقال: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ)

يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي.

أي: فلا يعلم أحد

(مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم)

من الخير الكثير، و النعيم الغزير، و الفرح و السرور، و اللذة و الحبور،

(مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ)

*الميسر:مما تَقَرُّ به العين، و ينشرح له الصدر؛

❍كما قال تعالى على لسان رسوله:

صحيح البخاري

4779 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ،

مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ

وَ لاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ،

وَ لاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَﷺ:اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:-

{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: 17]

*** صحيح مسلم

(189)عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ:

سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

قَالَ:سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً،

قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ،

فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ،

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَ قَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَ أَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ،

فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟
فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ،
فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَ مِثْلُهُ وَ مِثْلُهُ وَ مِثْلُهُ وَ مِثْلُهُ،
فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ،
فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَ عَشَرَةُ أَمْثَالِهِ،
وَ لَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَ لَذَّتْ عَيْنُكَ،
فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟
قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي،
وَ خَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَ لَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ،
وَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "
قَالَ: وَ مِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:
{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: 17] الْآيَةَ.( )

❍فكما صلوا في الليل، و دعوا، و أخفوا العمل،

جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم،

و لهذا قال: (جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

(وأخذوا أخذاتهم) قال القاضي هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه (أردت) معناه اخترت واصطفيت (غرست) معناه اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير (لم يخطر على قلب بشر) هنا حذف اختصر للعلم به تقديره ولم يخطر على قلب بشر ما أكرمتهم به وأعددته لهم (مصداقه) معناه دليله وما يصدقه]

أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠

ينبه تعالى، العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين،

و أن حكمته تقتضي عدم تساويهما

فقال: (أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا)

قد عمر قلبه بالإيمان، و انقادت جوارحه لشرائعه،

و اقتضى إيمانه آثاره و موجباته، من ترك مساخط اللّه،

التي يضر وجودها بالإيمان.

(كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ)

قد خرب قلبه، و تعطل من الإيمان،

فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل و الظلم،

من كل إثم و معصية، و خرج بفسقه عن طاعة الله.

أفيستوي هذان الشخصان؟.

(لَّا يَسْتَوُۥنَ)

عقلا و شرعًا، كما لا يستوي الليل و النهار، و الضياء و الظلمة

و كذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الْجَاثِيَةِ: 21]

وَ قَالَ تَعَالَى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: 28]

وَ قَالَ تَعَالَى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الْحَشْرِ: 20]

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ}

أَيْ: عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

***صَدَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا وَ هِيَ الصَّالِحَاتُ

○من فروض و نوافل

(فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ)

أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، و معدن الخيرات، و محل الأفراح،

و نعيم القلوب، و النفوس، و الأرواح، و محل الخلود،

و جوار الملك المعبود،

و التمتع بقربه، و النظر إلى وجهه، و سماع خطابه.

(نُزُلًا)

لهم أي: ضيافة، و قِرًى

(بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ)

فأعمالهم التي تفضل اللّه بها عليهم،

هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية،

التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال،

و لا بالجنود و الخدم، و لا بالأولاد،

بل و لا بالنفوس و الأرواح، و لا يتقرب إليها بشيء

أصلا سوى الإيمان و العمل الصالح.

جزاء الكافرين و اعراضهم عن آيات الله 20-22

(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟)

***خرجوا عن الطاعة

(فَمَأۡوَىٰهُمُ)

أي: مقرهم و محل خلودهم،

(ٱلنَّارُۖ)

التي جمعت كل عذاب و شقاء،

و لا يُفَتَّرُ عنهم العقاب ساعة.

(كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ)

فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ،

(أُعِيدُواْ فِيهَا)

ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، و اشتد عليهم الكرب.

***يقال على وجه التقريع و التوبيخ:-

(وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ)

فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم و مأواهم

(ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ)

*الميسر:في الدنيا

❍و أما العذاب الذي قبل ذلك، و مقدمة له و هو عذاب البرزخ،

فقد ذكر بقوله:

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ
﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ
هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ
وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ
ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمۡ
يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ
وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ
﴿٢٨﴾ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾

(وَلَنُذِيقَنَّهُم)

أي: و لنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجًا

(مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ)

و هو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا:-

1-إما بعذاب بالقتـــــل و نحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين،

2-و إما عند المـــــــوت، كما في قوله تعالى

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ)

ثم يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم.

و هذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، و دلالتها ظاهرة، فإنه قال:

(وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ)

أي: بعض و جزء منه،

فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، و هو عذاب النار.

*** عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ}

***قال:القمر و الدخان قد مضيا و البطشة و اللزام

***قَالَ السُّدِّي وَغَيْرُهُ: لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ بِمَكَّةَ إِلَّا دَخَلَهُ الْحُزْنُ عَلَى قَتِيلٍ لَهُمْ أَوْ أَسِيرٍ، فَأُصِيبُوا أَوْ غرموا وَ مِنْهُمْ مَنْ جُمِعَ له الأمران.

❍و لما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك

(دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ)

إليه و يتوبون من ذنوبهم

كما قال تعالى:(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ)

أي: لا أحد أظلم، و أزيد تعديًا، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريـــــد:-

1-تربيتـــــه،

2-و تكميل نعمته على أيدي رسله:-

تأمـــــره،و تذكره مصالحه الدينية و الدنيوية،

و تنهـــاه عن مضاره الدينية و الدنيـــــوية،

التي تقتضي أن :-

يقابلهـــــا بالإيمان و التسليم، و الانقياد و الشكر،

(ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ)

فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، و لا اتبعها،

بل أعرض عنها و تركها وراء ظهره،

فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة،

و لهذا قال: (إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)

*** سَأَنْتَقِمُ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَشَدَّ الِانْتِقَامِ.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٣ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٢٥

انزال التوراة على موسى و تكريم اتباعه 23-25

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى)

لما ذكر تعالى، آياته التي ذكر بها عباده،

و هو: القرآن، الذي أنزله على محمد ﷺذكر أنه ليس ببدع من الكتب،

و لا من جاء به، بغريب من الرسل،

فقد آتى الله موسى

(ٱلۡكِتَٰبَ)

الذي هو التوراة المصدقة للقرآن،

التي قد صدقها القرآن، فتطابق حقهما، و ثبت برهانهما،

(فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦ)

لأنه قد تواردت أدلة الحق و بيناته، فلم يبق للشك و المرية، محل.

*** قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي بِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

***صحيح البخاري

3239 - عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَ رَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ،
وَ رَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَ الدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ:
{فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} [السجدة: 23]
قَالَ أَنَسٌ،وَ أَبُو بَكْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
«تَحْرُسُ المَلاَئِكَةُ المَدِينَةَ مِنَ الدَّجَّالِ»( )
***وَ قَالَ الطَّبَرَانِيُّ:عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺفِي قَوْلِهِ: -
{وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ }
قَالَ: جُعل مُوسَى هُدى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَ فِي قَوْلِهِ:
{فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ}
قَالَ: مِنْ لِقَاءِ مُوسَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(آدم) من الأدمة وهي في الناس السمرة الشديدة. (طوالا) طويلا. (جعدا) غير سبط الشعر والشعر الجعد هو ما فيه التواء وتقبض.
(وقال النووي وأما الجعد في صفة موسى عليه السلام فالأولى أن يحمل على جعودة الجسم وهي اكتنازه واجتماعه لا جعودة الشعر. (شنوءة) اسم قبيلة. (مربوعا) لا قصيرا ولا طويلا.
(مربوع الخلق) معتدل الخلقة مائلا إلى الحمرة. (سبط الرأس) مسترسل الشعر.
(والدجال) أي ورأيت الدجال. (آيات) علامات ودلائل. (إياه) أي النبي ﷺ ووضع إياه موضع إياي على سبيل الالتفات. (مرية) شك. (لقائه) أي لقاء موسى عليه السلام وقيل غير ذلك

(وَجَعَلْنَاهُ)

أي: الكتاب الذي آتيناه موسى

(هُدًى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)

يهتدون به في أصول دينهم، و فروعه و شرائعه موافقة لذلك الزمان،

في بني إسرائيل.

و أما هذا القرآن الكريم، فجعله اللّه هداية للناس كلهم،

لأنه هداية للخلق، في أمر دينهم و دنياهم، إلى يوم القيامة،

و ذلك لكماله و علوه

(وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ)

أي: من بني إسرائيل

(أَئِمَّةً)

أي: علماء بالشرع، و طرق الهداية،مهتدين في أنفسهم،

(يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)

غيرهم بذلك الهدى،

فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، و المؤمنون به منهم، على قسميـــــن:-

1-أئمـــــة يهدون بأمر اللّه،

2–و أتبـــــاع مهتدون بهم.

و القسم الأول:–

أرفع الدرجات بعد درجة النبوة و الرسالة، و هي درجة الصديقين،

(لَمَّا صَبَرُواْ)

و إنما نالوا هذه الدرجة العالية بـــــ:–

1–الصبر على التعلم و التعليم،

2–و الدعوة إلى اللّه، و الأذى في سبيله،

3–و كفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، و استرسالها في الشهوات.

4-***لَمَّا صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا ،

وَ لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا يُقتَدى بِهِ حَتَّى يَتَحَامَى عَنِ الدُّنْيَا.

(وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ)

أي: وصلوا في الإيمان بآيات اللّه، إلى درجة اليقين:–

و هو [العلم التـــــام، المـــــوجب للعمل]

❍و إنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهـــــم:–

1–تعلمـــــوا تعلمًا صحيحًا،

2–و أخـــذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، و يستدلون عليها بكثرة الدلائل،

حتى وصلوا لذاك، فـــــبالصبر و اليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين.

*قال سفيان بن عيينة:لما أخذوا برأس الامر جعلناهم أئمة

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)

و ثَمَّ مسائل اختلف فيها بنو إسرائيل:-

1-منهم من أصاب فيها الحق،

2-و منهم من أخطأه خطأ، أو عمدًا،

(إِنَّ رَبَّكَ)

و اللّه تعالى

(هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ)

*الميسر:إن ربك -أيها الرسول- يقضي بين المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل و غيرهم

(يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)

بالعدل

(فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)

من أمور الدين

○و هذا القرآن يقص على بني إسرائيل، بعض الذي يختلفون فيه،

فكل خلاف وقع بينهم،

و وجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق،

و ما عداه مما خالفه، باطل.

أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

اثبات القدرة الالهية و البعث 26-30

(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ)

أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، و يهدهم إلى الصواب.

(كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ)

***مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ،

الذين سلكوا مسلكهم،

***بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ وَ مُخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فِيمَا جاؤوهم بِهِ مِنْ قَوِيمِ السُّبُلِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ وَ لَا عَيْنٌ وَ لَا أَثَرٌ؟

{هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مَرْيَمَ: 98]

(يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ)

فيشاهدونها عيانًا، كقوم هود، و صالح، و قوم لوط.

***أَيْ:وَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِ أُولَئِكَ الْمُكَذِّبِينَ فَلَا يَرَوْنَ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا وَ يَعْمُرُهَا، ذَهَبُوا مِنْهَا،

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [الْأَعْرَافِ: 92] ،

كَمَا قَالَ:{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا} [النَّمْلِ: 52] ،

وَ قَالَ:{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ

آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}
[الْحَجِّ: 45، 46]

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۚ)

يستدل بها، على صدق الرسل، التي جاءتهم،

و بطلان ما هم عليه، من الشرك و الشر،

و على أن من فعل مثل فعلهم، فُعِلَ بهم، كما فُعِلَ بأشياعه من قبل.

و على أن اللّه تعالى مجازي العباد، و باعثهم للحشر و التناد.

(أَفَلَا يَسۡمَعُونَ)

آيات اللّه، فيعونها، فينتفعون بها،

فلو كان لهم سمع صحيح، و عقل رجيح،

لم يقيموا على حالة يجزم بها، بالهلاك.

***أَيْ: أَخْبَارَ مَنْ تَقَدَّمَ، كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُمْ؟.

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ)

بأبصارهم نعمتنا، و كمال حكمتنا

(أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ)

التي لا نبات فيها، فيسوق اللّه المطر، الذي لم يكن قبل موجودًا فيها،

فيفرغه فيها، من السحاب، أو من الأنهار.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا} [الْكَهْفِ: 8]

أي: يَبَسًا لا تنبت شيئًا

(فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا)

أي: نباتًا، مختلف الأنواع

(تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ)

و هو نبات البهائم

(وَأَنفُسُهُمْ ۖ)

و هو طعام الآدميين.

(أَفَلَا يُبْصِرُونَ)

تلك المنة، التي أحيا اللّه بها البلاد و العباد،

فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر، و تلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم،

و لكن غلب عليهم العمى،

و استولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك، بصر الرجال،

و إنما نظروا إلى ذلك، نظر الغفلة، و مجرد العادة، فلم يوفقوا للخير.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ} [عَبَسَ: 24-32]

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾

قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

أي: يستعجل المجرمون بالعذاب، الذي وعدوا به على التكذيب، جهلا منهم و معاندة.

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ)

الذي يفتح بيننا و بينكم، بتعذيبنا على زعمكم

***مَتَى تُنْصَرُ عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ؟ كَمَا تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ وَقْتًا تُدَال عَلَيْنَا، و يُنْتَقم لَكَ مِنَّا، فَمَتَى يَكُونُ هَذَا؟

مَا نَرَاكَ أَنْتَ وَ أَصْحَابَكَ إِلَّا مُخْتَفِينَ خَائِفِينَ ذَلِيلِينَ!

***وَ إِنَّمَا الْمُرَادُ الْفَتْحُ الَّذِي هُوَ الْقَضَاءُ وَ الْفَصْلُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 118]

وَ كَقَوْلِهِ:{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سَبَأٍ: 26]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إِبْرَاهِيمَ: 15]

وَ قَالَ:{وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} [الْبَقَرَةِ: 89]

وَ قَالَ:{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} [الْأَنْفَالِ: 19] .

(إِن كُنتُمۡ)

أيها الرسل

(صَٰدِقِينَ)

في دعواكم.

(قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ)

الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئًا،

فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم،

حين صار الأمر عندكم يقينًا، لكان لذلك وجه،

و لكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر،

و لم يبق للمحنة محل

فـــــ(لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ)

لأنه صار إيمان ضرورة،

(وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ)

أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم.

(فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ)

لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل، و استعجال العذاب.

(وَٱنتَظِرۡ)

الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه،

و لكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم و لا يتأخر.

***أَعْرِضْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَبَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، كَقَوْلِهِ:
{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}
[الْأَنْعَامِ: 106]
وَ انْتَظِرْ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، وَ سَيَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، إِنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾

بك ريب المنون، و متربصون بكم دوائر السوء، و العاقبة للتقوى.

***أَنْتَ مُنْتَظِرٌ، وَ هُمْ مُنْتَظِرُونَ، وَيَتَرَبَّصُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ،
{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطُّورِ:30]

وَ سَتَرَى أَنْتَ عَاقِبَةَ صَبْرِكَ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى أَدَاءِ رِسَالَةِ اللَّهِ، فِي نُصْرَتِكَ وَ تَأْيِيدِكَ وَ سَيَجِدُونَ غِبَّ مَا يَنْتَظِرُونَهُ فِيكَ وَ فِي أَصْحَابِكَ، مِنْ وَبِيلِ عِقَابِ اللَّهِ لَهُمْ، وَ حُلُولِ عَذَابِهِ بِهِمْ، وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ

تم تفسير سورة السجدة – بحول اللّه و منه

فله تعالى كمال الحمد و الثناء و المجد.

33-سورة الأحزاب-مدنية-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا
﴿٢﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ
فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ
أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾
ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي
ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ
قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ
وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ
كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾

تفسير سورة الأحزاب- و هي مدنية- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

***مسند أحمد ط الرسالة

21207 - عَنْ زِرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ:

"كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا؟ "
قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَ سَبْعِينَ آيَةً،
فَقَالَ: "قَطُّ، لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ،
وَ لَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا:(الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ
و اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ)

توجيهات للنبى 1-3

يا أيها الذي منَّ اللّه عليه بالنبوة، و اختصه بوحيه،
و فضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه،
التي أنت أولى بها من غيرك،
و التي يجب عليك منها، أعظم من سواك،
فامتثل أوامره و نواهيه، و بلغ رسالاته،
و أدِّ إلى عباده وحيه، و ابذل النصيحة للخلق.

(وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ)

***لَا تَسْمَعْ مِنْهُمْ وَ لَا تَسْتَشِرْهُمْ،
و لا يصدنك عن هذا المقصود صاد، و لا يردك عنه راد،
فلا تطع كل كافر،

قد أظهر العداوة للّه و رسوله، و لا منافق،

قد استبطن التكذيب و الكفر، و أظهر ضده.

فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعهم في بعض الأمور،

التي تنقض التقوى، و تناقضها، و لا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)

***فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبِعَ أَوَامِرَهُ وَ تُطِيعَهُ،

فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ.

(وَ)

لكن

(وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ)

فإنه هو الهدى و الرحمة، وَ ارْجُ بذلك ثواب ربك، فإنه بما تعملون خبير،

يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير و الشر.

***مِنْ قُرْآنٍ وَ سُنَّةٍ،

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا)

أَيْ: فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ)

*** فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ وَ أَحْوَالِكَ

❍فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم في أهوائهم المضلة،

حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق،
فادفع ذلك عن نفسك،
و استعمل ما يقاومه و يقاوم غيره،
و هو التوكل على اللّه، بأن تعتمد على ربك، اعتماد مـــــن:-
لا يملك لنفسه ضرًا و لا نفعًا، و لا موتًا و لا حياة، و لا نشورًا،
في سلامتك من شرهم، و في إقامة الدين، الذي أمرت به،
وثق باللّه في حصول ذلك الأمر على أي: حال كان.

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا)
***لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَ أَنَابَ إِلَيْهِ.
توكل إليه الأمور، فيقوم بها، و بما هو أصلح للعبد،
و ذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد،
و قدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد،
و أنه أرحم بعبده من نفسه، و من والديه،
و أرأف به من كل أحد، خصوصًا خواص عبيده،
الذين لم يزل يربيهم ببره، و يُدِرُّ عليهم بركاته الظاهرة و الباطنة،
خصوصًا و قد أمره بإلقاء أموره إليه، و وعده،
فهناك لا تسأل عن كل أمر يتيسر، و صعب يسهل، و خطوب تهون،
و كروب تزول، و أحوال و حوائج تقضى، و بركات تنزل، و نقم تدفع،

و شرور ترفع.

و هناك ترى العبد الضعيف، الذي فوض أمره لسيده،

قد قام بأمور لا تقوم بها أمة من الناس،

و قد سهل اللّه عليه ما كان يصعب على فحول الرجال و باللّه المستعان.

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

يعاتب تعالى عباده عن التكلم بما ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله

فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين و مواليكم

و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به

و لكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفورًا رحيمًا لا حقيقة له من الأقوال،

و لم يجعله الله تعالى كما قالوا،فإن ذلك القول منكم كذب و زور،

يترتب عليه منكرات من الشرع.

و هذه قاعدة عامة في التكلم في كل شيء، و الإخبار بوقوع و وجود،

ما لم يجعله اللّه تعالى.

و لكن خص هذه الأشياء المذكورة، لوقوعها، و شدة الحاجة إلى بيانها، فقال:

تحريم الظهار و التبنى 4-5

(مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ)

هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد:-

إن له قلبين في جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية.

(وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ)

بأن يقول أحدكم لزوجته: « أنت عَليَّ كظهر أمي أو كأمي » فما جعلهن اللّه

(أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ)

أمك من ولدتك، و صارت أعظم النساء عليك، حرمة و تحريمًا،

و زوجتك أحل النساء لك،

فكيف تشبه أحد المتناقضين بالآخر؟

هذا أمر لا يجوز، كما قال تعالى:

(الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا)[المجادلة :2]

***كَمَا قَالَ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ:{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الْأَحْزَابِ:40]

(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ)

و الأدعياء، الولد الذي كان الرجل يدعيه، و هو ليس له، أو يُدْعَى إليه، بسبب تبنيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية، و أول الإسلام

❍فأراد اللّه تعالى أن يبطله و يزيله، فقدم بين يدي ذلك بيان قبحه، و أنه باطل و كذب، و كل باطل و كذب، لا يوجد في شرع اللّه، و لا يتصف به عباد اللّه.

❍يقول تعالى: فاللّه لم يجعل الأدعياء الذين تدعونهم، أو يدعون إليكم، أبناءكم،

فإن أبناءكم في الحقيقة، من ولدتموهم، و كانوا منكم،

❍و أما هؤلاء الأدعياء من غيركم، فلا جعل اللّه هذا كهذا.

(ذَٰلِكُمۡ)

القول، الذي تقولون في الدعي: إنه ابن فلان، الذي ادعاه، أو والده فلان

(قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ)

أي: قول لا حقيقة له و لا معنى له.

***تَبَنِّيكُمْ لَهُمْ قَوْلٌ لَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ ابْنًا حَقِيقِيًّا، فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ صُلْبِ رَجُلٍ آخَرَ، فَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبَوَانِ، كَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلْبَشَرِ الْوَاحِدِ قَلْبَانِ.

(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ)

***العدل

❍أي: اليقين و الصدق، فلذلك أمركم باتباعه، على قوله و شرعه،

فقوله، حق،

و شرعه حق،

و الأقوال و الأفعال الباطلة، لا تنسب إليه بوجه من الوجوه،

و ليست من هدايته،

لأنه لا يهدي إلا إلى السبيل المستقيمة،و الطرق الصادقة.

(وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ)

*** الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

و إن كان ذلك واقعًا بمشيئته،

فمشيئته عامة، لكل ما وجد من خير و شر.

ثم صرح لهم بترك الحالة الأولى، المتضمنة للقول الباطل

فقال:(ٱدْعُوهُمْ)

*انسبوهم أي: الأدعياء

(لِأَبَآئِهِمْ)

الذين ولدوهم

(هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ)

أي: أعدل، و أقوم، و أهدى.

***وَ قَدْ كَانُوا يُعَامِلُونَهُمْ مُعَامَلَةَ الْأَبْنَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فِي الْخَلْوَةِ بِالْمَحَارِمِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ؛

***وَ لِهَذَا لَمَّا نُسِخَ هَذَا الْحُكْمُ، أَبَاحَ تَعَالَى زَوْجَةَ الدَّعِيِّ،
وَ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ زَوْجَةِ زيد بن حارثة،
و قال:{لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} [الْأَحْزَابِ:37]

وَ قَالَ فِي آية التحريم:{وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} [النِّسَاءِ:23]
احْتِرَازًا عَنْ زَوْجَةِ الدَّعِيِّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الصُّلْبِ،
*** فَأَمَّا دَعْوَةُ الْغَيْرِ ابْنًا عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ وَ التَّحْبِيبِ،
فَلَيْسَ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، بِدَلِيلِ ما رواه مسلم :-
2151-عن أنس بن مالك قال لى رسول الله ﷺ :-"يا بنى"

**جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-

صحيح البخاري
4782 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
«أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺمَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ القُرْآنُ»،
{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب:5]

(فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ)

الحقيقيين

(فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ)
***أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَدِّ أَنْسَابِ الْأَدْعِيَاءِ إِلَى آبَائِهِمْ، إِنْ عُرِفُوا،
فَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا آبَاءَهُمْ، فَهُمْ إِخْوَانُهُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيهِمْ،
أَيْ: عِوَضًا عَمَّا فَاتَهُمْ مِنَ النَّسَبِ.

وَ لِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلزيدرضي الله عنه -
يوم خرج من مكة عامَ عمرة القضاء
«أَنْتَ أَخُونَا وَ مَوْلاَنَا»( )
*** صحيح البخاري
3508 - عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ:
«لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ – وَ هُوَ يَعْلَمُهُ - إِلَّا كَفَرَ،
وَ مَنِ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»
أي: إخوتكم في دين اللّه، و مواليكم في ذلك،
فادعوهم بالأخوة الإيمانية الصادقة، و الموالاة على ذلك،
فترك الدعوة إلى من تبناهم حتم، لا يجوز فعلها.
و أما دعاؤهم لآبائهم، فإن علموا، دعوا إليهم،
و إن لم يعلموا، اقتصر على ما يعلم منهم، و هو أخوة الدين و الموالاة،
فلا تظنوا أن حالة عدم علمكم بآبائهم، عذر في دعوتهم إلى من تبناهم،
لأن المحذور لا يزول بذلك.

(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ)
1–بأن سبق على لسان أحدكم، دعوته إلى من تبناه،فهذا غير مؤاخذ به،
2–أو علم أبوه ظاهرًا، فدعوتموه إليه و هو في الباطن، غير أبيه،
فليس عليكم في ذلك حرج، إذا كان خطأ

في البخارى-2699-
21-م17-ص418

*** إِذَا نَسَبْتُمْ بَعْضَهُمْ إِلَي غَيْرِ أَبِيهِ فِي الْحَقِيقَةِ خَطَأً، بَعْدَ الِاجْتِهَادِ وَ اسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ الْحَرَجَ فِي الْخَطَأِ وَ رَفَعَ إِثْمَهُ، كَمَا أَرْشَدَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ آمِرًا عِبَادَهُ أَنْ يَقُولُوا:

{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [الْبَقَرَةِ: 286] .

وَ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

"قَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ" ( )

وَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَ إِنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ" ( ) .

(وَلَٰكِن)

يؤاخذكم بـــــــــــ(مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ)

من الكلام، بما لا يجوز.

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا)

غفر لكم

(رَّحِيمًا)

و رحمكم حيث بيَّن لكم أحكامه التي تصلح دينكم و دنياكم،

حيث لم يعاقبكم بما سلف، و سمح لكم بما أخطأتم به،

مسلم126

البخارى7352

21-م17-ص418

فله الحمد تعالى.

***وَ إِنَّمَا الْإِثْمُ عَلَى مَنْ تَعَمَّدَ الْبَاطِلَ كَمَا قَالَ تَعَالَى

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} .

ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦

يخبر تعالى المؤمنين، خبرًا يعرفون به حالة الرسول ﷺومرتبته،

فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة

ابطال نظام التبنى 6-8

فقال: (ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ)

أقرب ما للإنسان، و أولى ما له نفسه،فالرسول أولى به من نفسه

لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح، و الشفقة، و الرأفة،

ما كان به أرحم الخلق، و أرأفهم،

فرسول اللّه، أعظم الخلق مِنَّةً عليهم، من كل أحد،

فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير،

و لا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه و بسببه.

فلذلك، وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس،

أو مراد أحد من الناس، مع مراد الرسول،

أن يقدم مراد الرسول،

و أن لا يعارض قول الرسول، بقول أحد، كائنًا من كان،

و أن يفدوه بأنفسهم و أموالهم و أولادهم،

و يقدموا محبته على الخلق كلهم، و ألا يقولوا حتى يقول،

و لا يتقدموا بين يديه.

و هو ﷺ، أب للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يربيهم كما يربي الوالد أولاده.

فترتب على هذه الأبوة، أن كان نساؤه أمهاتهم، أي:-

في الحرمة و الاحترام، و الإكرام، لا في الخلوة و المحرمية،

و كأن هذا مقدمة، لما سيأتي في قصة زيد بن حارثة،

الذي كان قبل يُدْعَى:« زيد بن محمد » حتى أنزل اللّه

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)

فقطع نسبه، و انتسابه منه،

فأخبر في هذه الآية، أن المؤمنين كلهم، أولاد للرسول،

فلا مزية لأحد عن أحد و إن انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة،

فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن و لا يأسف.

و ترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين،

أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما الله صرح بذلك:

(وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا)

***قَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى شَفَقَةَ رَسُولِهِ ﷺعَلَى أُمَّتِهِ، و نصحه لَهُمْ، فَجَعَلَهُ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ حَكَّمَهُ فِيهِمْ مُقَدّمًا عَلَى اخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النِّسَاء: 65]

***وَ فِي الصَّحِيحِ:وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَ مَالِهِ وَ وَلَدِهِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ"( ) .

***وَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا أَنَّ عُمَرَ، ﷺقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِﷺ وَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي.

فَقَالَ: "لَا يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ".

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنْ نَفْسِي.

فَقَالَ: "الْآنَ يَا عُمَرُ" ( ).

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} .

***صحيح البخاري

4781 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ،

اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب: 6]

فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا،

فَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا، أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلاَهُ "

البخارى 14

البخارى6632

21-م17-ص418

(وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ)

***فِي الْحُرْمَةِ وَ الِاحْتِرَامِ، وَ الْإِكْرَامِ وَ التَّوْقِيرِ وَ الْإِعْظَامِ،
وَ لَكِنْ لَا تَجُوزُ الْخَلْوَةُ بِهِنَّ، وَ لَا يَنْتَشِرُ التَّحْرِيمُ إِلَى بَنَاتِهِنَّ وَ أَخَوَاتِهِنَّ بِالْإِجْمَاعِ،

(وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ)

أي: الأقارب، قربوا أو بعدوا

(بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ)

أي: في حكمه، فيرث بعضهم بعضًا، و يبر بعضهم بعضًا،
فهم أولى من الحلف و النصرة.

و الأدعياء الذين كانوا من قبل، يرثون بهذه الأسباب، دون ذوي الأرحام،
فقطع تعالى، التوارث بذلك، و جعله للأقارب، لطفًا منه و حكمة،
فإن الأمر لو استمر على العادة السابقة، لحصل من الفساد و الشر،
و التحيل لحرمان الأقارب من الميراث، شيء كثير.

(مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ)

أي: سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين و غير مهاجرين،
فإن ذوي الأرحام مقدمون في ذلك،
و هذه الآية حجة على ولاية ذوي الأرحام، في جميع الولايات، كولاية النكاح،
و المال، و غير ذلك.

***الْقُرَابَاتُ أَوْلَى بِالتَّوَارُثِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ.
وَ هَذِهِ نَاسِخَةٌ لِمَا كَانَ قَبْلَهَا مِنْ التَّوَارُثِ بِالْحَلِفِ وَ الْمُؤَاخَاةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ،
كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُهُ: كَانَ الْمُهَاجِرِيُّ يَرِثُ الْأَنْصَارِيَّ دُونَ قِرَابَاتِهِ ذَوِي رَحِمِهِ، لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ)

أي: ليس لهم حق مفروض، و إنما هو بإرادتكم،

إن شئتم أن تتبرعوا لهم تبرعًا، و تعطوهم معروفًا منكم،

***ذَهَبَ الْمِيرَاثُ، وَ بَقِيَ النَّصْرُ وَ الْبِرُّ وَ الصِّلَةُ وَ الْإِحْسَانُ وَ الْوَصِيَّةُ.

(كَانَ ذَٰلِكَ)

الحكم المذكور

***وَ هُوَ أَنَّ أُولِي الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،

(فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا)

*** حُكْمٌ مِنَ اللَّهِ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، الَّذِي لَا يُبَدَّلُ، وَ لَا يُغَيَّرُ

أي: قد سطر، و كتب، و قدره اللّه، فلا بد من نفوذه.

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه

الرابط

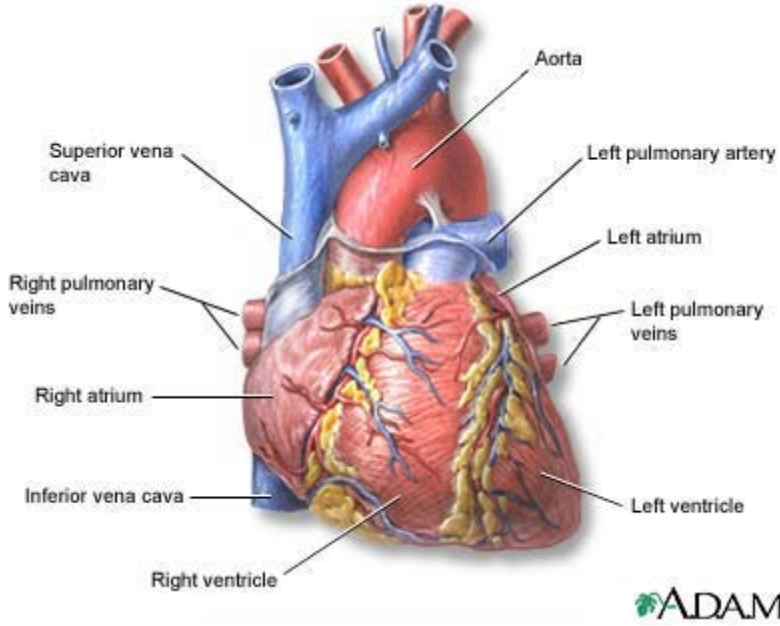

د. يحيى إبراهيم محمد

مساعد مدير مستشفى الدكتور سليمان فقيه

يقول الحق تبارك وتعالى في الآية الرابعة من سورة الأحزاب:

(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللآىِى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ).

ولله المثل الأعلى، ففي مطلع هذه الآية المباركة إعجاز قرآني علمي يتحدى به الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلقه إلى يوم القيامة

ويضرب مثلاً حِسِّيًّا للبشر كافة و يقطع باستحالة وجود قلبين في صدر أي رجل!

ولدقة المعنى المراد الوصول إليه بأقصر السبل،

جاء اختيار كلمة (رجل)

و ليس بشرًا أو بني آدم أو مؤمنًا أو إنسانًا،
حتى لا يحتمل تفسيرها مشاركة الأنثى في القسم،
والتي قد يكون في جوفها أثناء فترة الحمل جنين أو أكثر
ويحمل كل منهم قلب ينبض و هو لا يزال في جوف أمه و بين أحشائها،
و قد جاء في كتب التفسير العطرة أن هذه الآية الكريمة
نزلت في رجل من قريش اسمه جميل بن معمر الفهري كان يدّعي أن له قلبين في جوفه، و كان يدّعى ذا القلبين من دهائه!
و قيل إنها نزلت ردًّا مُفحِمًا لبعض المنافقين الذين ادّعوا أن لرسول الله ـ ﷺ ـ قلبين، فأكذبهم الله ـ عز وجل ـ في ما يدّعون.
و بهذا المثل الإعجازي يقطع الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما جاء بعدها في بقية الآية المباركة باستحالة أن تكون الزوجة التي أقسم عليها زوجها (المُظاهِر) بقوله:
(أنت علَيَّ كظهر أمّي، أو كأمّي) ـ
أن تكون في منزلة أو مقام أمه التي ولدته!
فصارت أجَلّ وأعظم النساء عليه حرمة وتحريمًا وتكريمًا،
و زوجته التي هي أحل النساء له!
و بذلك يستحيل تشابه النقيضين جملة و تفصيلاً.
ثم ينتقل النص القرآني الشافي إلى قضية بطلان الأدعياء أو التَّبنِّي
و يفصّلها بنفس المثل الإعجازي الذي تصدّر الآية الكريمة،
فالله ـ عز وجل ـ لم يجعل الأدعياء الذين تدّعونهم أو يدّعون إليكم أبناءكم!
فإن أبناءكم في الحقيقة هم من ولدتموهم وكانوا منكم ومن صلبكم.
و أما هؤلاء الأدعياء فإنهم من غيركم و من صلب غير صلبكم! فكيف يستويان؟!

إذًا فهو ادعاء باطل وقولٌ خالٍ من الحقيقة لا معنى له؛ (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ)
و هذا هو الصدق و اليقين الذي بُنيت عليه كل الشرائع التي أنزلها الله - عز وجل -
في محكم آيات كتابه الكريم.
و نعود للإعجاز القرآني بالتحدي في ضرب المثل الرباني الذي تصدّر الآية المباركة:
(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)
حيث يستحيل علميًّا من وجهة نظر علماء و باحثي علم الأجنة و أطباء وجرّاحي القلب،
أن يكون هناك من له قلبين في صدره!
و لم تسجل كتب الطب ومراجعه العلمية في ذلك التخصص أو غيره ـ على مدى تاريخها ـ وجود إنسان واحد يولد بقلبين،
مع العلم بأن معظم الباحثين ومؤلفي تلك المراجع ليسوا بمسلمين!
فمن المعروف والثابت علميًّا، أن القلب يبدأ تكوينه في جوف الجنين مع بداية الأسبوع الثالث من تكون الحمل، حيث ينمو الأنبوب القلبي الأيمن ونظيره الأيسر
ليلتقيا في منتصف القطب العلوي
(و هو ما سيكون تجويفًا صدريًّا فيما بعد) من جسم الجنين
و يتلاشى الأنبوب القلبي جهة اليسار بعد أن يزداد سمك جداره السفلي،
و يظهر من منتصفه بروز يزداد نموًّا داخل الأنبوب القلبي ليكوِّن البُطينين الأيمن والأيسر،
و يتكوَّن الأذينان القلبيان بطريقة مشابهة من الجزء العلوي من الأنبوب القلبي،

ويتخلل هذه المراحل الدقيقة ـ
و في نفس الوقت ـ تكوين الشرايين و الأوردة القلبية الرئيسية الكبرى.
و تتم كل هذه المراحل حول نقطة لتجمع دموي في النصف العلوي من الأنسجة الجنينية في مراحلها المبكرة من التكوين،
و يبدأ القلب ـ بمشيئة الله وقدرته ـ في الانقباض والانبساط تلقائيًّا قبل نهاية الأسبوع السادس من الحمل، و قبل نمو النهايات العصبية ووصولها إليه!.
وبعد هذا الإيجاز في شرح مراحل تكوين القلب في الجنين،
فقد يتساءل البعض: أليست هناك بعض التشوهات المرضية والاختلافات الخِلقية في قلوب بعض المواليد؟
فنجيب بنعم، ولكن لم ولن نجد من له قلبين في صدره!
وذلك لاستحالة تكوينهما في جنين واحد ـ كما أسلفنا ـ
وإذا توقفت أي من المراحل السابق ذكرها أثناء تكوين القلب الجنيني،
فإن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى موت الجنين إذا كان ذلك التشوه أو الاختلاف لا يتمشى أو يتعارض مع الحياة،
فيتم إجهاضه أو وفاته داخل الرحم قبل ولادته،
وهو كما ذكرنا ليس ازدواجيًّا في تخليق القلب،
ولكنه توقف عند إحدى مراحل تكوينه الجنيني،
وقد يكون اختلافًا خلقيًّا بسيطًا ويولد الطفل بتشوه في قلبه.
والأمثلة كثيرة منها وجود ثقب بين الأذينين أو بين البطينين أو كلاهما معًا أو وجود بطين واحد كقلب الطيور أو انحناء القلب جهة اليمين،
وقد يكون القلب معيوبًا في مجموعة من مواضع اتصال الشرايين أو الأوردة الكبرى بالقلب أو صماماته مثل مرض ثلاثي أو رباعي
فَالْمُوت (نسبة لمكتشفه) وغيرها من الاختلافات الخلقية البسيطة

أو المركبة و المعقدة ومنها ما قد تصاحبه زرقة أو لا تصاحبه زرقة،
و نعود فنقول إنه يستحيل أن يولد رجل بقلبين في جوفه إلى يوم القيامة، حتى في حالات التوائم (السيامية) الملتحمة أو الملتصقة،
فقد يكون لكل توأم منهما قلب منفصل، و قد يكون لهما قلب واحد،
و لكن يستحيل أن تكون لهما ثلاثة قلوب.
-انظر ايضا الرابط

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ
مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ
ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ
فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن
يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا
تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ
وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ
مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ

وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

يخبر تعالى أنه أخذ من النبيين عمومًا،

و من أولي العزم – و هم، هؤلاء الخمسة المذكورون–

خصوصًا، (مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) :– عهدهم الثقيل المؤكد، على:–

1–القيـــــام بدين اللّه

2–و الجهـاد في سبيله،

3– ***وَ إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ،

4-***وَ التَّعَاوُنِ وَ التَّنَاصُرِ وَ الِاتِّفَاقِ،

و أن هذا سبيل، قد مشى الأنبياء المتقدمون، حتى ختموا بسيدهم و أفضلهم، محمد ﷺ، و أمر الناس بالاقتداء بهم.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آلِ عِمْرَانَ: 81]

***وَ قَدْ صرَّح بِذِكْرِهِمْ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَ فِي قَوْلِهِ:

{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشُّورَى: 13] ،

فَذَكَرَ الطَّرَفَيْنِ وَ الْوَسَطَ، الْفَاتِحَ وَ الْخَاتَمَ، وَ مِنْ بَيْنِهِمَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ.

فَهَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهَا، كَمَا قَالَ:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}

فَبَدَأَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْخَاتَمِ؛ لِشَرَفِهِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ - ثُمَّ رَتَّبَهُمْ بِحَسَبِ وُجُودِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.

(لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ)

و سيسأل اللّه الأنبياء و أتباعهم، عن هذا العهد الغليظ

هل وفوا فيه، و صدقوا؟

فيثيبهم جنات النعيم؟

أم كفروا، فيعذبهم العذاب الأليم؟

قال تعالى:(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)

انظر كلام ابن القيم فى اغاثةاللهفان

(وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ)

***مِنْ أُمَمِهِمْ

{عَذَابًا أَلِيمًا}

أَيْ: مُوجِعًا،

فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ،

وَ نَصَحُوا الْأُمَمَ وَ أَفْصَحُوا لَهُمْ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ،

الَّذِي لَا لَبْسَ فِيهِ، وَ لَا شَكَّ، وَ لَا امْتِرَاءَ،

وَ إِنْ كَذَّبَهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ مِنَ الْجَهَلَةِ وَ الْمُعَانِدِينَ وَ الْمَارِقِينَ وَ الْقَاسِطِينَ،

فَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ هُوَ الْحَقُّ، و مَنْ خَالَفَهُمْ فَهُوَ عَلَى الضَّلَالِ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١

***يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نِعْمَتِهِ وَ فَضْلِهِ وَ إِحْسَانِهِ إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ،
فِي صَرْفِهِ أَعْدَاءَهُمْ وَ هَزْمِهِ إِيَّاهُمْ عَامَ تَأَلَّبُوا عَلَيْهِمْ
وَ حَزَّبُوا وَ ذَلِكَ عَامَ الْخَنْدَقِ،
وَ ذَلِكَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الهجرة على الصحيح الْمَشْهُورِ.
وَ قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبة وَغَيْرُهُ كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ.
وَ كَانَ سَبَبُ قُدُومِ الْأَحْزَابِ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَشْرَافِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ،
الَّذِينَ كَانُوا قَدْ أَجْلَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى خَيْبَرَ، مِنْهُمْ:-
سَلَّامُ بْنُ أَبِي الحُقَيْق، وَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَم، وَ كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ،
خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ وَ اجْتَمَعُوا بِأَشْرَافِ قُرَيْشٍ،
و أَلّبوهم عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَ وَعَدُّوهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمُ النَّصْرَ وَ الْإِعَانَةَ.
فَأَجَابُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ،
ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى غَطَفَانَ فَدَعَوْهُمْ فَاسْتَجَابُوا لَهُمْ أَيْضًا.
وَ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي أَحَابِيشِهَا، وَ مَنْ تَابَعَهَا، وَ قَائِدُهُمْ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَ عَلَى غَطَفَانَ عُيَينة بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ،
وَ الْجَمِيعُ قَرِيبٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ،
فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِمَسِيرِهِمْ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي الشَّرْقَ

وَ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ،
فَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ وَ اجْتَهَدُوا،
وَ نَقَلَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالتُّرَابَ و حفر،
وَ كَانَ فِي حَفْرِهِ ذَلِكَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ وَ دَلَائِلُ وَاضِحَاتٌ.
وَ جَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَنَزَلُوا شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ قَرِيبًا مِنْ أُحُدٍ،
وَ نَزَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي أَعَالِي أَرْضِ الْمَدِينَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ}
وَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
وَهُمْ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ،
وَ قِيلَ: سَبْعُمِائَةٍ،
وَ أَسْنَدُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ وَ وُجُوهَهُمْ إِلَى نَحْوِ الْعَدُوِّ،
وَ الْخَنْدَقُ حَفِيرٌ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُمْ يَحْجُبُ الرَّجَّالَةَ وَ الْخَيَّالَةَ
أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ، وَ جَعَلَ النِّسَاءَ وَ الذَّرَارِيَّ فِي آطَامِ الْمَدِينَةِ،
وَ كَانَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ -وَ هُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ -لَهُمْ حِصْنٌ شَرْقِيَّ
الْمَدِينَةِ، وَ لَهُمْ عَهْدٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺوَ ذِمَّةٌ،
وَ هُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ مُقَاتِلٍ
فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضَرِي الْيَهُودِيُّ
فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى نَقَضُوا العهد،
و مالؤوا الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فعَظُم الخَطْب وَ اشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَ ضَاقَ الْحَالُ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا} .
***وَ مَكَثُوا مُحَاصِرِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺوَ أَصْحَابِهِ قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ،
إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِمْ،

وَ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلَّا أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَبْدِ وُدٍّ الْعَامِرِيَّ –
وَ كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ –
رَكِبَ وَمَعَهُ فَوَارِسُ فَاقْتَحَمُوا الْخَنْدَقَ،
وَ خَلَصُوا إِلَى نَاحِيَةِ الْمُسْلِمِينَ،
فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺخَيْلَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ،
فَلَمْ يَبْرُزْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَأَمَرَ عَلِيًّا فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً،
ثُمَّ قَتَلَهُ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَ عَلَامَةً عَلَى النَّصْرِ.
وَ مَكَثُوا مُحَاصِرِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺوَأَصْحَابِهِ قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ،
إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِمْ، وَ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ،
إِلَّا أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَبْدِ وُدٍّ الْعَامِرِيَّ –
وَ كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ –
رَكِبَ وَ مَعَهُ فَوَارِسُ فَاقْتَحَمُوا الْخَنْدَقَ، وَ خَلَصُوا إِلَى نَاحِيَةِ الْمُسْلِمِينَ،
فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺخَيْلَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ،
فَلَمْ يَبْرُزْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَأَمَرَ عَلِيًّا فَخَرَجَ إِلَيْهِ،
فَتَجَاوَلَا سَاعَةً، ثُمَّ قَتَلَهُ عَلِيٌّ، ﷺفَكَانَ عَلَامَةً عَلَى النَّصْرِ.
***ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ، وَجَلَّ، عَلَى الْأَحْزَابِ رِيحًا شَدِيدَةَ الْهُبُوبِ قَوِيَّةً،
حَتَّى لَمْ تُبْقَ لَهُمْ خَيْمَةٌ وَ لَا شَيْءٌ وَ لَا تُوقَد لَهُمْ نَارٌ، وَ لَا يَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ
حَتَّى ارْتَحَلُوا خَائِبِينَ خَاسِرِينَ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا}.
قَالَ مُجَاهِدٌ: وَ هِيَ الصَّبَا، وَ يُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ:

"نُصِرْتُ بِالصَّبَا( ) وَ أُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ".( )

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)

يذكر تعالى عباده المؤمنين، نعمته عليهم، و يحثهم على شكرها،

غزوة الاحزاب و بنى قريظة 9-27

(إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ)

حين جاءتهم

(جُنُودٞ)

أهل مكة و الحجاز، من فوقهم،

و أهل نجد، من أسفل منهم،

و تعاقدوا و تعاهدوا على استئصال الرسول و الصحابة،

و ذلك في وقعة الخندق.

و مالأتهم طوائف اليهود، الذين حوالي المدينة،

فجاءوا بجنود عظيمة و أمم كثيرة.

و خندق رسول اللّه ﷺ، على المدينة، فحصروا المدينة،

و اشتد الأمر

و بلغت القلوب الحناجر،

حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ،

الريح الشرقية

مسلم 900

21-م18-ص419

لما رأوا من الأسباب المستحكمة، و الشدائد الشديدة،

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا)

***وَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، زَلْزَلَتْهُمْ وَ أَلْقَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَ الْخَوْفَ،
فَكَانَ رَئِيسُ كُلِّ قَبِيلَةٍ يَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ إِلَيَّ.
فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ: النَّجَاءَ، النَّجَاءَ.
لِمَا أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ.
*** صحيح مسلم

(1788)عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:-
كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ:-
لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺقَاتَلْتُ مَعَهُ وَ أَبْلَيْتُ،
فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟
لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺلَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَ أَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَ قُرٌّ،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»
فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ،
ثُمَّ قَالَ:«أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»
فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ،
ثُمَّ قَالَ:«أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»
فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ،
فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»،
فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ،
قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَ لَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»،

فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ،
فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ،
فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ،
فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:
«وَ لَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»
وَ لَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَ أَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ،
فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَ فَرَغْتُ قُرِرْتُ،
فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺمِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا،
فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ،
فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»( )

(وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا)

(وأبليت) أي بالغت في نصرته كأنه أراد الزيادة على نصرة الصحابة

(وقر) القر هو البرد

(ولا تذعرهم علي) أي لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي وقيل معناه لا تنفرهم وهو قريب من المعنى الأول والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررا علي لأنك رسولي وصاحبي

(كأنما أمشي في حمام) يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئا بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي صلى الله عليه وسلم وذهابه فيما وجهه له ودعائهﷺله واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما عاد ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس ولفظ الحمام عربية وهو مذكر مشتق من الحميم وهو الماء الحار

(يصلي ظهره) أي يدفئه ويدنيه منها وهو الصلا بفتح الصاد والقصر والصلاء بكسرها والمد

(كبد القوس) هو مقبضها وكبد كل شيء وسطه

(قررت) أي بردت وهو جواب فلما أتيته

(عباءة) العباءة والعباية بزيادة ياء لغتان مشهورتان معروفتان قال في المنجد العباءة كساء مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب

(أصبحت) أي طلع علي الفجر

(يا نومان) هو كثير النوم وأكثر ما يستعمل في النداء كما استعمله هنا]

*الميسر:لا يخفى عليه من ذلك شيء.

(إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ)

***الاحزاب

(وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ)

***بنو قريظة

❍فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، و الأمر كما وصف اللّه:-

(وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ)

*** مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَ الْفَزَعِ

(وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠)

أي: الظنون السيئة، أن اللّه لا ينصر دينه، و لا يتم كلمته.

***قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: ظَنَّ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّ الدَّائِرَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَ أَنَّ اللَّهَ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ .

***وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ:

{وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا}

ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ، وَ نَجَمَ النِّفَاقُ

حَتَّى قَالَ مُعَتِّب بْنُ قُشَيْرٍ -أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ:-

كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَ قَيْصَرَ،

وَ أَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ.

***وَ قَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ} :-

ظُنُونٌ مُخْتَلِفَةٌ،

ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا وَ أَصْحَابَهُ يُسْتَأْصَلُونَ،
وَ أَيْقَنَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ حَقٌّ،
وَ أَنَّهُ سَيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

(هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ)

بهذه الفتنة العظيمة

(وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا)

بالخـــــوف و القلـــــق، و الجـــــوع،

ليتبين إيمانهم، و يزيد إيقانهم،

فظهر – و للّه الحمد– من إيمانهم، و شدة يقينهم،

ما فاقوا فيه الأولين و الآخرين.

❍و عندما اشتد الكرب، و تفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين،

(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)

***يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ الْحَالِ، حِينَ نَزَلَتِ الْأَحْزَابُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَ الْمُسْلِمُونَ مَحْصُورُونَ فِي غَايَةِ الْجُهْدِ وَ الضِّيقِ،
وَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ: أَنَّهُمُ ابتُلوا و اختُبروا وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، فَحِينَئِذٍ ظَهَرَ النِّفَاقُ، وَ تَكَلَّمَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ.

❍و هنالك تبين نفاق المنافقين، و ظهر ما كانوا يضمرون قال تعالى:

وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

(وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)

و هذه عادة المنافق عند الشدة و المحنة:-

لا يثبت إيمانه، و ينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة و يصدق ظنه.

***أَمَّا الْمُنَافِقُ، فَنَجَمَ نِفَاقُهُ،

وَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ أو حَسِيْكَة، ضَعُف حَالُهُ

فَتَنَفَّسَ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ فِي نَفْسِهِ؛ لِـــــــــــ:-

1-ضَعْـــــــفِ إِيمَانِه،

2-وَ شِـــــــدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْحَالِ.

(مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ)

*الميسر:من النصر والتمكين

(إِلَّا غُرُورًا)

*الميسر:إلا باطلا من القول و غروراً، فلا تصدقوه.

وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

(وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ)

***وَ قَوْمٌ آخَرُونَ قَالُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ: {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ}

يَعْنِي: الْمَدِينَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ:

***البخارى 3905:-

قال النبى ﷺ «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ»

وَ هُمَا الحَرَّتَانِ،

❍من المنافقين، بعد ما جزعوا و قلَّ صبرهم، و صاروا أيضًا من المخذولين،

فلا صبروا بأنفسهم، و لا تركوا الناس من شرهم،

فقالت هذه الطائفة: (يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ)

يريدون « يا أهل المدينة » فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن التسمية :–

فيه إشارة إلى أن الدين و الأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر،

و أن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي.

(لَا مُقَامَ لَكُمْ)

أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة،

و كانوا عسكروا دون الخندق، و خارج المدينة

(فَٱرْجِعُوا۟)

***إِلَى بُيُوتِ كُمْ وَ مَنَازِلِكُمْ

❍إلى المدينة، فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد،

و تبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم،

و يأمرونهم بترك القتال،

فهذه الطائفة، شر الطوائف و أضرها، و طائفة أخرى دونهم،

أصابهم الجبن و الجزع، و أحبوا أن ينخزلوا عن الصفوف،

فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة،

و هم الذين قال اللّه فيهم:

(وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)

***بُيُوتُنَا نَخَافُ عَلَيْهَا السَّرَقَ.

❍أي: عليها الخطر، و نخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء،

و نحن غُيَّبٌ عنها، فَأْذَنْ لنا نرجع إليها، فنحرسها، و هم كذبة في ذلك.

(وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ)

*** لَيْسَتْ كَمَا يَزْعُمُونَ،

(إِن يُرِيدُونَ)

أي: ما قصدهم

(إِلَّا فِرَارًا)

*** هَرَبًا مِنَ الزَّحْفِ

❍و لكن جعلوا هذا الكلام، وسيلة و عذرًا لهم

فهؤلاء قل إيمانهم، و ليس له ثبوت عند اشتداد المحن.

(وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا)

أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها، و استولوا عليها – لا كان ذلك–

(ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ)

أي: الانقلاب عن دينهم، و الرجوع إلى دين المستولين المتغلبين

(لَـَٔاتَوْهَا)

أي: لأعطوها مبادرين.

(وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا)

*الميسر :و ما تأخروا عن الشرك إلا يسيراً.

أي: ليس لهم منعة و لا تَصلُّبٌ على الدين،

بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا،

و يوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم.

و الحال أنهم:–

(وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ)

***ثُمَّ قَالَ تَعَالَى يُذَكِّرُهُمْ بِمَا كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْخَوْفِ، أَلَّا يُوَلُّوا الْأَدْبَارَ وَ لَا يَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ،

(وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا)

سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذًا بربهم؟

***وَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.
ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ فرَارهم ذَلِكَ لَا يُؤَخِّرُ آجَالَهُمْ، وَ لَا يُطَوِّلُ أَعْمَارَهُمْ بَلْ رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي تَعْجِيلِ أَخْذِهِمْ غِرَّةً؛ وَ لِهَذَا قَالَ:

{وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلا}
أَيْ: بَعْدَ هَرَبكم وَ فِرَارِكُمْ،
{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} [النِّسَاءِ: 77] .

---

*إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:-

وقال تعالى {فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ} [الأعراف: 6 - 7]

وقال تعالى {لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ} [الأحزاب: 8] .

فإذا سئل الصادقون و حوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟.

قال مقاتل: "يقول تعالى: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الله الصادقين، يعني النبيين، عن تبليغ الرسالة".

و قال مجاهد: "يسأل المبلغين المؤدين عن الرسل، يعني: هل بلغوا عنهم كما يسأل الرسل، هل بلغوا عن الله تعالى؟ ".

و التحقيق:

أن الآية تتناول هذا وهذا، فالصادقون هم الرسل، و المبلغون عنهم، فيسأل الرسل عن تبليغ رسالاته و يسأل المبلغين عنهم عن تبليغ ما بلغتهم الرسل، ثم يسأل الذين بلغتهم الرسالة ماذا أجابوا المرسلين، كما قال تعالى:

{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: 65] .

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا
(١٦) قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ
وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا (١٧) قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ
وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ
فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ
فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ
فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا (١٩) يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ
وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ
عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا (٢٠) لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ
فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا (٢١)
وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ
وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا (٢٢)

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ
وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا (١٦)

(قُل)

لهم، لائمًا على فرارهم، و مخبرًا أنهم لا يفيدهم ذلك شيئًا

(لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ)

فلو كنتم في بيوتكم، لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعكم.

و الأسباب تنفع، إذا لم يعارضها القضاء و القدر،

فإذا جاء القضاء و القدر، تلاشى كل سبب،

و بطلت كل وسيلة، ظنها الإنسان تنجيه.

(وَإِذٗا)

حين فررتم لتسلموا من الموت و القتل، و لتنعموا في الدنيا فإنكم

(لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا)

متاعًا، لا يسوى فراركم، و تركّكم أمر اللّه،

و تفويتكم على أنفسكم، التمتع الأبدي، في النعيم السرمدي.

قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾

ثم بين أن الأسباب كلها لا تغني عن العبد شيئًا إذا أراده اللّه بسوء، فقال:

(قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم)

أي: يمنعكم

(مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا)

أي: شرًا،

(أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةۢۚ)

فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع

الذي لا يأتي بالخير إلا هو، و لا يدفع السوء إلا هو.

(وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا)

يتولاهم، فيجلب لهم النفع

(وَلَا نَصِيرًا)

أي ينصرهم، فيدفع عنهم المضار.

فَلْيَمْتَثِلُوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، و مضى قدره،

و لم ينفع مع ترك ولايته و نصرته، وَلِيٌّ و لا ناصر.

۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

ثم توَّعد تعالى المخذلين المعوقين، و تهددهم فقال:-

(قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ)

*الميسر:المثبطين عن الجهاد في سبيل الله

○عن الخروج، لمن لم يخرجوا

(وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ)

***أَصْحَابِهِمْ و عُشَرائهمِ وَ خُلَطَائِهِمْ

○الذين خرجوا:

(هَلُمَّ إِلَيْنَا)

***إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي الظِّلَالِ وَ الثِّمَارِ،

○أي: ارجعوا، كما تقدم من قولهم:(يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا)

و هم مع تعويقهم و تخذيلهم :-

(وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ)

أي: القتال و الجهاد بأنفسهم

(إِلَّا قَلِيلًا)

فهم أشد الناس حرصًا على التخلف،

لعـــــــــدم الـــــداعي لذلك، مـــــن :-

الإيمـــــان و الصبـــــر،

و وجود المقتضـــــى للجبـــــن مـــــن:-

النفـــــاق، و عـــــدم الإيمـــــان.

(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ)

بأبدانهم عند القتال، و بأموالهم عند النفقة فيه،

فلا يجاهدون بأموالهم و أنفسهم.

(فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ)

نظر المغشى عليه

(تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ)

***تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفًا من القتل و فرارًا منه

(كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ)

*الميسر:كدوران عين مَن حضره الموت،

(مِنَ الْمَوْتِ ۖ)

من شدة الجبن، الذي خلع قلوبهم، و القلق الذي أذهلهم،

و خوفًا من إجبارهم على ما يكرهون، من القتال.

(فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ)

و صاروا في حال الأمن و الطمأنينة،

(سَلَقُوكُم)

أي: خاطبوكم، و تكلموا معكم

(بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ)

بكلام حديد، و دعاوى غير صحيحة.

و حين تسمعهم، تظنهم أهل الشجاعة و الإقدام،

***فَإِذَا كَانَ الْأَمْنُ، تَكَلَّمُوا كَلَامًا بَلِيغًا فَصِيحًا عَالِيًا،

وَ ادَّعُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةَ فِي الشَّجَاعَةِ وَ النَّجْدَةِ،

وَ هُمْ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

***أَمَّا عِنْدَ الْغَنِيمَةِ فَأَشَحُّ قَوْمٍ، وَ أَسْوَأُهُ مُقَاسِمَةً:-

أَعْطُونَا، أَعْطُونَا، قَدْ شَهِدْنَا مَعَكُمْ.

***وَ أَمَّا عِنْدَ الْبَأْسِ فَأَجْبَنُ قَوْمٍ، وَ أَخْذُلُهُ لِلْحَقِّ.

*الميسر:فإذا انتهت الحرب و ذهب الرعب

رموكم بألسنة حداد مؤذية،

(أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ)

***لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ، قَدْ جَمَعُوا الْجُبْنَ وَ الْكَذِبَ وَ قِلَّةَ الْخَيْرِ،

*الميسر: وتراهم عند قسمة الغنائم بخلاء و حسدة،

الذي يراد منهم، و هذا شر ما في الإنسان، أن يكـــــون:-

شحيحًا بما أمـــر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه،

شحيحًا في بدنـــه أن يجاهد أعداء اللّه،أو يدعو إلى سبيل اللّه،

شحيحًا بجاهـــــه،

شحيحًا بعلمـــــه، و نصيحته و رأيـــــه.

(أُولَئِكَ)

الذين بتلك الحالة

(لَمۡ يُؤۡمِنُواْ)

بسبب عدم إيمانهم،

(فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ)

أحبط الله أعمالهم،

*الميسر:فأذهب الله ثواب أعمالهم.

(وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا)

***سَهْلًا هَيِّنًا عِنْدَهُ.

و أما المؤمنون، فقد وقاهم اللّه، شح أنفسهم،

و وفقهم لبذل ما أمروا به، مـــــن بـــــذل:-

1-لأبدانهـــــم في القتال في سبيله، و إعلاء كلمته،

2-و أموالهـــم، للنفقـــــة في طـــــــرق الخير،

3-و جاههـــــم

4-و علمهـــــم.

يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ

وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

***وَ هَذَا أَيْضًا مِنْ صِفَاتِهِمُ الْقَبِيحَةِ فِي الْجُبْنِ وَ الْخَوْفِ وَ الْخَوْرِ

(يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ)

أي: يظنون [أى المنافقون]أن هؤلاء الأحزاب الذين تحزبوا على حرب رسول اللّهﷺو أصحابه، [الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة]

(لَمْ يَذْهَبُوا۟)

حتى يستأصلوهم، فخاب ظنهم، و بطل حسبانهم

*الميسر:و ذلك من شدة الخوف و الجبن،

(وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ)

مرة أخرى

أي: لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة،

(يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ)

ودَّ هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة، و لا في القرب منها

(يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ)

و أنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم،

و يسألون عن أنبائكم، ماذا حصل عليكم؟

فتبًا لهم، و بعدًا، فليسوا ممن يُبَالى بحضورهم

(وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا)

فلا تبالوهم، و لا تأسوا عليهم.

***وَ لَوْ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، لَمَا قَاتَلُوا مَعَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لِـــــــ:-

1-كَثْرَةِ جُبْنِهِمْ

2-وَ ذِلَّتِهِمْ

3-وَ ضَعْفِ يَقِينِهِمْ.

(لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ)

حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، و باشر موقف الحرب

و هو الشريف الكامل، و البطل الباسل،

فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول اللّه ﷺ، بنفسه فيه؟

فَتأَسَّوْا به في هذا الأمر و غيره.

و استـــــدل الأصوليون في هذه الآيـــــة، على :-

1-الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ

2-و أن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام،

إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأســـــوة نوعـــــان:-

1-أسوة حسنـــــة،

2–و أسوة سيئـــــة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ

فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللّه،

و هو الصراط المستقيم.

و أما الأسوة بغيره، إذا خالفـــــه:–

فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم

(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)

(لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ)

و هذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها و يوفق لها،مـــــن:–

كـــــان يـــــرجو اللّـــــه، و اليـــــوم الآخـــــر،

○فـــــإن مـــــا معـــــه مـــــــــن:–

الإيمان، و خوف اللّه، و رجاء ثوابه، و خوف عقابه،

يحثه على التأسي بالرسول ﷺ

(وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا)

*الميسر:وأكثرَ مِن ذكر الله و استغفاره، و شكره في كل حال.

○لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر حال المؤمنين فقال:-

(وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ)

الذين تحزبوا، و نزلوا منازلهم، و انتهى الخوف،

***قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةُ: يَعْنُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي "سُورَةِ الْبَقَرَةِ"

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[الْبَقَرَةِ: 214] .

(قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ)

في قوله:(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)

***مِنَ الِابْتِلَاءِ وَ الِاخْتِبَارِ وَ الِامْتِحَانِ الَّذِي يَعْقُبُهُ النَّصْرُ الْقَرِيبُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:–

(وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ)

فإنا رأينا، ما أخبرنا به

(وَمَا زَادَهُمۡ)

ذلك الأمر

***ذَلِكَ الْحَالُ وَ الضِّيقُ وَ الشِّدَّةُ مَا زَادَهُمْ

(إِلَّآ إِيمَٰنًا)

في قلوبهم

***بِاللَّهِ

(وَتَسْلِيمًا)

في جوارحهم، و انقيادًا لأمر اللّه

***لرسوله

***دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَ قُوَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّاسِ وَ أَحْوَالِهِمْ، كَمَا قَالَهُ جُمْهُورُ الْأَئِمَّةِ:-إِنَّهُ يَزِيدُ وَ يَنْقُصُ.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ
وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ
وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾
وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾
وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

2805 - عَنْ أَنَسٍ ﷺقَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ،
فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ،
لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»،
فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ،
قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَ أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، - يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»،
فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ،
فَقَالَ:
يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ
قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ،
قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَ قَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ،
فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ
قَالَ أَنَسٌ:كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ:
{مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}

[الأحزاب23] إِلَى آخِرِ الآيَةِ (Î)

❍و لما ذكر أن المنافقين، عاهدوا اللّه، لا يولون الأدبار،

و نقضوا ذلك العهد، ذكر وفاء المؤمنين به،

فقال: (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟)

أي: وفوا به، و أتموه، و أكملوه،

فبذلوا مهجهم في مرضاته، و سبَّلوا أنفسهم في طاعته.

(مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ)

* الميسر : أوفوا بعهودهم مع الله تعالى،

(فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ)

***أجلـــه

***عهده و هو يرجع الى الاول

***مَوْتَهُ عَلَى الصِّدْقِ وَ الْوَفَاءِ.

***نـــذره

❍أي: إرادته و مطلوبه، و ما عليه من الحق،

(انكشف المسلمون) انهزموا. (الجنة) أريد الجنة وهي مطلوبي. (أجد) أشم. (من دون أحد) عند أحد ويحتمل أنه وجد ريحها حقيقة كرامة له ويحتمل أنه أراد أن الجنة تكتسب في هذا الموضع فاشتاق لها. (بضعا) من الثلاث إلى تسع. (ببنانه) أصابعه أو أطراف أصابعه]

فقتل في سبيل اللّه، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا.

(وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ)

***الْمَوْتَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ،

تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، و وفاء نحبه و لما يكمله و هو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد.

(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)

كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، و لا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة،

و من عداهم فصورهم صور رجال،

و أما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال.

***وَ مَا غيَّروا عَهْدَهُمْ، و بدَّلوا الْوَفَاءَ بِالْغَدْرِ،

بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ،

وَ مَا نَقَضُوهُ كَفِعْلِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا:

{إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا} [الاحزاب:13]

{وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ}

***صحيح البخاري

4784 - عن عِن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ:

لَمَّا نَسَخْنَا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ فَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ، كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ،

إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺشَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ»:
{مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23]

***صحيح مسلم

(1903) عَنْ ثَابِتٍ، قَالَ:

قَالَ أَنَسٌ: «عَمِّيَ الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا»،

قَالَ: " فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺغُيِّبْتُ عَنْهُ،

وَ إِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺلَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ،

قَالَ: «فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا»

قَالَ: «فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺيَوْمَ أُحُدٍ»

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ،

فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟

فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ

قَالَ: «فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»

قَالَ: «فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَ ثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَ طَعْنَةٍ وَ رَمْيَةٍ»

قَالَ: " فَقَالَتْ أُخْتُهُ - عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ -

فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ،

وَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 23] "

قَالَ: «فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَ فِي أَصْحَابِهِ»( )

(عمي الذي سميت به) أي باسمه وهو أنس بن النضير

(ليراني الله ما أصنع) هكذا هو في أكثر النسخ ليراني بالألف وهو صحيح ويكون ما أصنع بدلا من الضمير في يراني أي ليرى الله ما أصنع

(لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ)

أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، و أحوالهم، و معاملتهم مع اللّه،

و استواء ظاهرهم و باطنهم، قال اللّه تعالى:

(هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) الآية.

أي: قدرنا ما قدرنا، من هذه الفتن و المحن، و الزلازل،

ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم

(وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ)

الذين تغيرت قلوبهم و أعمالهم، عند حلول الفتن،

و لم يفوا بما عاهدوا اللّه عليه.

(إِن شَآءَ)

تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم.

(أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ)

بأن يوفقهم للتوبة و الإنابة، و هذا هو الغالب، على كرم الكريم،

(فهاب أن يقول غيرها) معناه أنه اقتصر على هذه اللفظة المبهمة وهي قوله ليراني الله ما أصنع مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز عنه أو تضعف بنيته عنه أو نحو ذلك وليكون أبرأ له من الحول والقوة

(واها لريح الجنة) قال العلماء واها كلمة تحنن وتلهف والقائل هو أنس

(أجده دون أحد) محمول على ظاهره وأن الله تعالى أوجده ريحها من موضع المعركة وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام]

و لهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، و الفضل، و الإحسان

فقال:-(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا)

لذنوب المسرفين على أنفسهم، و لو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب.

(رَّحِيمًا)

بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، و ستر عليهم ما اجترحوه.

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

(وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ)

ردهم خائبين، مغتاظين [خاسرين]

لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه قادرين عليه

جازمين، بأن لهم الدائرة،

قد غرتهم جموعهم، و أعجبوا بتحزبهم، و فرحوا بِعَدَدِهِمْ و عُدَدِهِمْ.

(لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا)

*الميسر:في الدنيا و لا في الآخرة،

○فأرسل اللّه عليهم، ريحًا عظيمة، و هي ريح الصبا،

فزعزعت مراكزهم، و قوَّضت خيامهم، و كفأت قدورهم و أزعجتهم،

وضربهم اللّه بالرعب، فانصرفوا بغيظهم،

و هذا من نصر اللّه لعباده المؤمنين.

***يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْأَحْزَابِ لَمَّا أَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ،
بِمَا أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ وَ الْجُنُودِ الْإِلَهِيَّةِ،
وَ لَوْلَا أَنَّ جَعَلَ اللَّهُ رَسُولَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ
لَكَانَتْ هَذِهِ الرِّيحُ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ مِنَ الرِّيحِ الْعَقِيمِ عَلَى عَادٍ،
وَ لَكِنْ قال الله تَعَالَى:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}
[الْأَنْفَالِ: 33]

فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ هَوَاءً فَرَّقَ شَمْلَهُمْ، كَمَا كَانَ سَبَبُ اجْتِمَاعِهِمْ مِنَ الهَوَى،
وَ هُمْ أَخْلَاطٌ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى، أَحْزَابٍ وَ آرَاءٍ،
فَنَاسَبَ أَنْ يرسل عليهم الهواء الذي فرق جَمَاعَتَهُمْ،
وَ رَدَّهُمْ خَائِبِينَ خَاسِرِينَ بِغَيْظِهِمْ و حَنَقِهِم،
لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا لَا فِي الدُّنْيَا، مِمَّا كَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الظَّفَرِ وَ الْمَغْنَمِ،
وَ لَا فِي الْآخِرَةِ بِمَا تَحَمَّلُوهُ مِنَ الْآثَامِ فِي مُبَارَزَةِ الرَّسُولِ،
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ، بِالْعَدَاوَةِ، وَ هَمِّهِمْ بِقَتْلِهِ، وَ اسْتِئْصَالِ جَيْشِهِ،
و مَنْ هَمّ بِشَيْءٍ و صَدق هَمَّه بِفِعْلِهِ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَفَاعِلِهِ.

(وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ)

بما صنع لهم من الأسباب العادية و القدرية،

***لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى مُنَازَلَتِهِمْ وَ مُبَارَزَتِهِمْ حَتَّى يُجْلُوهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ،
بَلْ كَفَى اللَّهُ وَحْدَهُ، وَ نَصَرَ عَبْدَهُ، و أعزَّ جُنْدَهُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

***صحيح مسلم

(2724) عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﵁أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ يَقُولُ:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَ نَصَرَ عَبْدَهُ، وَ غَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ»( )

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

* سنن النسائي

661 - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ

قَالَ: شَغَلَنَا الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ

حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْقِتَالِ مَا نَزَلَ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} [الأحزاب25]

«فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِلَالًا فَأَقَامَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ

فَصَلَّاهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيهَا لِوَقْتِهَا،

ثُمَّ أَقَامَ لِلْعَصْرِ فَصَلَّاهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا،

ثُمَّ أَذَّنَ لِلْمَغْرِبِ فَصَلَّاهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا»

(وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)

لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، و لا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، و لا يعجزه أمر أراده، و لا ينفع أهل القوة و العزة، قوتهم و عزتهم، إن لم يعنهم بقوته و عزته.

(وغلب الأحزاب وحده) أي قبائل الكفار المتحزبين عليه وحده أي من غير قتال الآدميين بل أرسل عليهم ريحا وجنودا لم تروها (فلا شيء بعده) أي سواه]

***قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ لَمَّا قَدِمَتْ جُنُودُ الْأَحْزَابِ،
وَ نَزَلُوا عَلَى الْمَدِينَةَ، نَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺمِنَ الْعَهْدِ،
وَ كَانَ ذَلِكَ بِسِفَارَةِ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ النَّضَرِي -لَعَنَهُ اللَّهُ -دَخَلَ حِصْنَهُمْ،
وَ لَمْ يَزَلْ بِسَيِّدِهِمْ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ حَتَّى نَقَضَ الْعَهْدَ،
وَ قَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ: وَيْحَكَ، قَدْ جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ، أَتَيْتُكَ بِقُرَيْشٍ وَ أَحَابِيشِهَا،
وَ غَطَفَانَ وَ أَتْبَاعِهَا، وَ لَا يَزَالُونَ هَاهُنَا حَتَّى يَسْتَأْصِلُوا مُحَمَّدًا وَ أَصْحَابَهُ.
فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: بَلْ وَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي بِذُلِّ الدَّهْرِ.
وَيْحَكَ يَا حيي، إنك مشؤوم،
فَدَعْنَا مِنْكَ. فَلَمْ يَزَلْ يَفْتِلُ فِي الذِّروة و الغَارب حَتَّى أَجَابَهُ،
وَ اشْتَرَطَ لَهُ حُيي إِنْ ذَهَبَ الْأَحْزَابُ،
وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ، أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُمْ فِي الْحِصْنِ،
فَيَكُونُ لَهُ أُسْوَتُهُمْ. فَلَمَّا نَقَضت قريظةُ،
وَ بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَاءَهُ، وَ شَقَّ عَلَيْهِ وَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جِدًّا،
فَلَمَّا أَيَّدَ اللَّهُ و نَصَر، وَ كَبَتَ الْأَعْدَاءَ و ردَّهم خَائِبِينَ بِأَخْسَرِ صَفْقَةٍ،
وَ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِلَى الْمَدِينَةِ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا،
وَ وَضَعَ النَّاسُ السِّلَاحَ.
فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَغْتَسِلُ مِنْ وَعْثَاءِ تِلْكَ الْمُرَابَطَةِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ
إِذْ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ،
عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ،
فَقَالَ: أوضَعت السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: لَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَضَعْ أَسْلِحَتَهَا،
وَ هَذَا الْآنَ رُجُوعِي مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ.
ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَنْهَضَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَ فِي رِوَايَةٍ فَقَالَ لَهُ: عذيرك مِنْ مُقَاتِلٍ، أَوَضَعْتُمُ السِّلَاحَ؟
قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: لَكِنَّا لَمْ نَضَعْ أَسْلِحَتَنَا بَعْدُ، انْهَضْ إِلَى هَؤُلَاءِ.
قَالَ: "أَيْنَ؟ ". قَالَ: بَنِي قُرَيْظَةَ،
فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَلْزِلَ عَلَيْهِمْ. فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنْ فَوْرِهِ،
وَ أَمَرَ النَّاسَ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ،
وَ كَانَتْ عَلَى أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ،
وَ ذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ،
وَ قَالَ: "لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ".
فَسَارَ النَّاسُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ فِي الطَّرِيقِ،
فَصَلَّى بَعْضُهُمْ فِي الطَّرِيقِ
وَ قَالُوا: لَمْ يُرِدْ مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِلَّا تَعْجِيلَ السَّيْرِ،
وَ قَالَ آخَرُونَ: لَا نُصَلِّيهَا إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ.
فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.
وَ تَبِعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ،
وَ أَعْطَى الرَّايَةَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه
ثُمَّ نَازَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً،
فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْحَالُ، نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -سَيِّدِ الْأَوْسِ –
لِأَنَّهُمْ كَانُوا حُلَفَاءَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،
وَ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ،
كَمَا فعل عبد الله بن أبي بن سَلُولَ فِي مَوَالِيهِ بَنِي قَيْنُقَاعَ،
حِينَ اسْتَطْلَقَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَظَنَّ هَؤُلَاءِ أَنَّ سَعْدًا سَيَفْعَلُ فِيهِمْ كَمَا فَعَلَ ابْنُ أُبَيٍّ فِي أُولَئِكَ،
وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ سَعْدًا رضي الله عنه كَانَ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ فِي أكحله أَيَّامَ الْخَنْدَقِ،

فَكَوَاهُ رسول الله ﷺفِي أَكْحَلِهِ،
وَأَنْزَلَهُ فِي قُبَّةٍ فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ.
وَ قَالَ سَعْدٌ فِيمَا دَعَا بِهِ:-
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا.
وَ إِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ فَافْجُرْهَا وَ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقرّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ.
فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ،
و قَدّر عَلَيْهِمْ أَنْ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ بِاخْتِيَارِهِمْ طَلَبًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَدْعَاهُ رسول الله ﷺمن المدينة ليحكم فيهم،
فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطَّؤوا لَهُ عَلَيْهِ،
جَعَلَ الْأَوْسُ يَلُوذُونَ بِهِ وَ يَقُولُونَ:-
يَا سَعْدُ، إِنَّهُمْ مَوَالِيكَ، فَأَحْسِنْ فِيهِمْ.
وَ يُرَقِّقُونَهُ عَلَيْهِمْ وَ يُعَطِّفُونَهُ، وَ هُوَ سَاكِتٌ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ.
فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ
قَالَ: لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.
فَعَرَفُوا أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَبْقِيهِمْ،
فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْخَيْمَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:
"قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ".
فَقَامَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ،
فَأَنْزَلُوهُ إِعْظَامًا وَ إِكْرَامًا وَ احْتِرَامًا لَهُ فِي مَحَلِّ وِلَايَتِهِ،
لِيَكُونَ أَنْفَذَ لِحُكْمِهِ فِيهِمْ.
فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: -
إِنْ هَؤُلَاءِ -وَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ -قَدْ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ،

فَاحْكُمْ فِيهِمْ بِمَا شِئْتَ".
قَالَ: وَ حُكْمِي نَافِذٌ عَلَيْهِمْ؟
قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: وَ عَلَى مَنْ فِي هَذِهِ الْخَيْمَةِ؟
قَالَ: "نَعَمْ".
قَالَ: وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا. -
وَ أَشَارَ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ-
وَ هُوَ مُعْرِضٌ بِوَجْهِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِجْلَالًا وَ إِكْرَامًا وَ إِعْظَامًا -
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَعَمْ".
فَقَالَ: إِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتلتهم،
و تُسبْى ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ.
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ" .
وَ فِي رِوَايَةٍ: "لَقَدْ حكمتَ بِحُكْمِ المَلك".
ثُمَّ أَمَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَسَلَّمَ بِالْأَخَادِيدِ فَخُدّت فِي الْأَرْضِ،وَ جِيءَ بِهِمْ مُكْتَفِينَ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ،
وَ كَانُوا مَا بَيْنَ السَّبْعِمِائَةِ إِلَى الثَّمَانِمِائَةِ،
وَ سَبَى مَنْ لَمْ يُنبت مِنْهُمْ مَعَ النِّسَاءِ وَ أَمْوَالِهِمْ ،
وَ هَذَا كُلُّهُ مُقَرِّرٌ مُفَصَّلٌ بِأَدِلَّتِهِ وَأَحَادِيثِهِ وَ بَسْطِهِ فِي كِتَابِ السِّيرَةِ، الَّذِي أَفْرَدْنَاهُ مُوجَزًا و مقتصًا . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.
***وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

(وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم)

أي عاونوهم

***أَيْ: عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ وَ سَاعَدُوهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ)

أي: اليهود

يَعْنِي: بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ، مِنْ بَعْضِ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
كَانَ قَدْ نَزَلَ آبَاؤُهُمُ الْحِجَازَ قَدِيمًا،
طَمَعًا فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ،
{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} [الْبَقَرَةِ: 89] ،
فَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ.

(مِن صَيَاصِيهِمْ)

أي: أنزلهم من حصونهم، نزولا مظفورًا بهم

مجعولين تحت حكم الإسلام.

(وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ)

فلم يقووا على القتال، بل استسلموا و خضعوا و ذلوا.

***وَ هُوَ الْخَوْفُ؛ لأنهم كانوا مالؤوا الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَ لَيْسَ مَنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ،
فَأَخَافُوا الْمُسْلِمِينَ وَ رَامُوا قَتْلَهُمْ ليَعزّوا فِي الدنيا،
فانعكس عَلَيْهِمُ الْحَالُ،
وَ انْقَلَبَ الْفَالُ انْشَمَرَ الْمُشْرِكُونَ فَفَازُوا بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ،
فَكَمَا رَامُوا الْعِزَّ ذُلُّوا وَ أَرَادُوا اسْتِئْصَالَ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتُؤْصِلُوا،

وَ أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ شَقَاوَةُ الْآخِرَةِ،
فَصَارَتِ الْجُمْلَةُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الصَّفْقَةُ الْخَاسِرَةُ؛
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: -

(فَرِيقًا تَقْتُلُونَ)

و هم الرجال المقاتلون

(وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)

❍مَنْ عداهم من النساء و الصبيان.

***وَ الْأُسَرَاءُ هُمُ الْأَصَاغِرُ وَ النِّسَاءُ.

*** مسند أحمد ط الرسالة

19421 - عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ قَالَ:

عُرِضْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺيَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَشَكُّوا فِيَّ،
فَأَمَرَ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيَّ،
هَلْ أَنْبَتُّ بَعْدُ؟
فَنَظَرُوا، فَلَمْ يَجِدُونِي أَنْبَتُّ،
فَخَلَّى عَنِّي وَ أَلْحَقَنِي بِالسَّبْيِ "

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

(وَأَوْرَثَكُمْ)

أي: غنَّمكم

(أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ)

*** جَعَلَهَا لَكُمْ مِنْ قتلكم لهم

(وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا)

***قِيلَ: خَيْبَرُ. وَ قِيلَ: مَكَّةُ. رَوَاهُ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.

وَ قِيلَ: فَارِسُ وَ الرُّومُ.

وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُرَادًا.

أي: أرضا كانت من قبل،من شرفها و عزتها عند أهلها،

لا تتمكنون من وطئها،

فمكنكم اللّه و خذلهم، و غنمتم أموالهم، و قتلتموهم، و أسرتموهم.

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا)

لا يعجزه شيء،

و من قدرته، قدَّر لكم ما قدر.

و كانت هذه الطائفة من أهل الكتاب،

هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة، غير بعيدة

و كان النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة، وادعهم، و هادنهم،

فلم يقاتلهم و لم يقاتلوه، و هم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئًا.

فلما رأوا يوم الخندق، الأحزاب الذين تحزبوا على رسول اللّه و كثرتهم،

و قلة المسلمين، و ظنوا أنهم سيستأصلون الرسول و المؤمنين،

و ساعد على ذلك، تدجيل بعض رؤسائهم عليهم،

فنقضوا العهد الذي بينهم و بين رسول اللّه ﷺ،و مالؤوا المشركين على قتاله.
فلما خذل اللّه المشركين، تفرغ رسول اللّهﷺ لقتالهم،
فحاصرهم في حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ ﷺفحكم فيهم،
أن تقتل مقاتلتهم، و تسبى ذراريهم، و تغنم أموالهم.
فأتم اللّه لرسوله و المؤمنين، المنة، و أسبغ عليهم النعمة،
و أقَرَّ أعينهم، بخذلان من انخذل من أعدائهم،
و قتل من قتلوا، وأسر من أسروا، و لم يزل لطف اللّه بعباده المؤمنين مستمرًا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

2468 - عَنْ عَبْدِ اللّه بْنِ عَبّاسٍ رَضيَ اللّهُ عَنْهُمَا،
قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَﷺعَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النّبِيّ ﷺاللّتَيْنِ قَالَ اللّهُ لَهُمَا:
{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم:4]
فَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَعَدَلَ وَ عَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ،
فَتَبَرَّزَ حَتّى جَاءَ، فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضّأَ،

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَنِ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم:4]؟

فَقَالَ: وَ اعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ،(عَائِشَةُ وَ حَفْصَةُ)

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيثَ يَسُوقُهُ،

فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَ هِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ،

وَ كُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِهِ، وَ إِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، ف

َصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي، فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي،

فَقَالَتْ: وَ لِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ،

فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّﷺلَيُرَاجِعْنَهُ،

وَ إِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ،

فَأَفْزَعَنِي، فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ،

ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ،

فَقُلْتُ: أَيْ حَفْصَةُ أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺاليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَ خَسِرَتْ

أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهﷺفَتَهْلِكِينَ

لاَ تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، وَ لاَ تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ،

وَ لاَ تَهْجُرِيه، و اَسْأَليني مَا بَدَا لَك،
وَ لاَ يَغُرَّنَّك أَنْ كَانَتْ جَارَتُك هِيَ أَوْضَأَ مِنْك،
وَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺ- يُرِيدُ عَائِشَةَ –
وَ كُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا،
فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِه فَرَجَعَ عِشَاءً،
فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا،
و قَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ، فَفَزِعْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْه،
وَ قَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟
أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟
قَالَ: لاَ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ نِسَاءَهُ،
قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَ خَسِرَتْ،
كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ،
فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي،
فَصَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ، فَاعْتَزَلَ فِيهَا،
فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي،
قُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ
قَالَتْ: لاَ أَدْرِي هُوَ ذَا فِي المَشْرُبَةِ،
فَخَرَجْتُ، فَجِئْتُ المِنْبَرَ،
فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا،
ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا،
فَقُلْتُ لِغُلاَمٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ،
فَدَخَلَ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ

فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ، حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ
الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ،
فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ،
ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الغُلَامَ
فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ،
فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَإِذَا الغُلَامُ يَدْعُونِي
قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ،
قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ،
فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: «لاَ»،
ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ:
أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ،
فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ،
فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ،
ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ،
فَقُلْتُ: لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ،
وَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى،
فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ،
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ البَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاَثَةٍ،
فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ،
فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ،وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَ هُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ،
وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ:

«أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّه، اسْتَغْفِرْ لِي،
فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ،
وَ كَانَ قَدْ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنّ شَهْرًا مِنْ شِدّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللّهُ»
فَلَمّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ،
فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ:
عَائِشَةُ إِنّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا،
وَ إِنّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدّهَا عَدًّا،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الشّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ»
وَكَانَ ذَلِكَ الشّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ،
قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ: آيَةُ التّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوّلَ امْرَأَةٍ،
فَقَالَ: «إِنّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا،
وَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِي حَتّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»،
قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنّ أَبَوَيّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ،
ثُمّ قَالَ:إِنّ اللّهَ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ}[الأحزاب28]
إِلَى قَوْلِه {عَظِيمًا}[النساء:27] "
قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيّ،
فَإِنّي أُرِيدُ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَ الدّارَ الآخِرَةَ، ثُمّ خَيّرَ نِسَاءَهُ،
فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ

○اجتمع نساء رسول اللّه ﷺفي الغيرة، و طلبن منه النفقة و الكسوة،

طلبن منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت،

و لم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات،

شَقَّ ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرًا.

فأراد اللّه أن يسهل الأمر على رسوله،

و أن يرفع درجة زوجاته، و يُذْهِبَ عنهن كل أمر ينقص أجرهن،

فأمر رسوله أن يخيرهن فقال:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا)

***الميسر:يطلبن منك زيادة النفقة:**

آداب و توجيهات لأزواج النبىﷺ28-34

○أي: ليس لكن في غيرها مطلب،

و صرتن ترضين لوجودها،

و تغضبن لفقدها،

فليس لي فيكن أرب و حاجة، و أنتن بهذه الحال.

*****صحيح البخاري**

4785 - عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،

أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ،

أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺجَاءَهَا حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّرَ أَزْوَاجَهُ

فَبَدَأَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَقَالَ:

«إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»

وَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ،

قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ:إِنَّ اللَّهَ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ}[الأحزاب: 28] إِلَى تَمَامِ الآيَتَيْنِ،
فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟
فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ

(فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ)

شيئا مما عندي، من الدنيا

(وَأُسَرِّحْكُنَّ)

أي: أفارقكن

(سَرَاحًا جَمِيلًا)

من دون مغاضبة و لا مشاتمة،

بل بسعة صدر، و انشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي.

(وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ)

أي: هذه الأشياء مرادكن، و غاية مقصودكن،

و إذا حصل لَكُنَّ اللّه و رسوله و الجنة، لم تبالين بسعة الدنيا و ضيقها،

و يسرها و عسرها، و قنعتن من رسول اللّه بما تيسر،

و لم تطلبن منه ما يشق عليه،

(فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)

رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك،

لا لكونهن زوجات للرسول

فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئًا، مع عدم الإحسان،

فخيَّرهن رسول اللّه ﷺفي ذلك،

فاخترن اللّه و رسوله، و الدار الآخرة، كلهن،

و لم يتخلف منهن واحدة، رضي اللّه عنهن.

و في هذا التخييـــــر فوائد عديـــــدة:-

1-الاعتناء برسوله، و غيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

2-سلامته ﷺبهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات،

و أنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى،

و إن شاء منع (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ)

3-تنزيهه عما لو كان فيهن، من تؤثر الدنيا على اللّه و رسوله، و الدار الآخرة، و عن مقارنتها.

4-سلامة زوجاته، رضي اللّه عنهن، عن الإثم،و التعرض لسخط اللّه و رسوله.

فحسم اللّه بهذا التخيير عنهن، التسخط على الرسول،

الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

5-إظهار رفعتهن، و علو درجتهن، و بيان علو هممهن،

أن كان اللّه ورسوله والدار الآخرة،مرادهن و مقصودهن، دون الدنيا و حطامها.

6-استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة،

و أن يَكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.

7–ظهور المناسبة بينه و بينهن، فإنه أكمل الخلق،

و أراد اللّه أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات

(وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ)

8–أن هذا التخيير داع، و موجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب،

و ينشرح لها الصدر، و يزول عنهن جشع الحرص،

و عدم الرضا الموجب لقلق القلب و اضطرابه، وهمه و غمه.

9–أن يكون اختيارهن هذا، سببًا لزيادة أجرهن و مضاعفته،

و أن يَكُنَّ بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء، و لهذا قال: –

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠

(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ)

***وَ هِيَ النُّشُوزُ وَ سُوءُ الْخُلُقِ.

وَ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ شَرْطٌ،

وَ الشَّرْطُ لَا يَقْتَضِي الْوُقُوعَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزُّمَرِ:65]

وَ قَوْلِهِ: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الْأَنْعَامِ: 88]

{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزُّخْرُفِ:81]

{لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزُّمَرِ:4]

فَلَمَّا كَانَتْ محلَّتهن رَفِيعَةً، نَاسَبَ أَنْ يَجْعَلَ الذَّنْبَ لَوْ وَقَعَ مِنْهُنَّ مُغْلَّظًا، صِيَانَةً لِجَنَابِهِنَّ وَ حِجَابِهِنَّ الرَّفِيعِ؛

❍لما اخترن اللّه و رسوله و الدار الآخرة:-

ذكر مضاعفة أجرهن، و مضاعفة وزرهن و إثمهن،

لو جرى منهن، ليزداد حذرهن، و شكرهن اللّه تعالى،

***وَ لِهَذَا قَالَ: -

(يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ)

فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة، لها العذاب ضعفين.

***فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

(وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا)

***سَهْلًا هَيِّنًا.